القوى العالمية والمكاييل

أ. د . عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

القوى العالمية والمكايد

القوى العالمية والمكاييل

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

ح عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النشر
العُمري، عبدالعزيز بن إبراهيم بن سليمان، ١٣٧٦هـ.
القوى العالمية والمكاييل./ عبد العزيز بن إبراهيم بن سليمان،
١٣٧٦هـ. العُمري .. الرياض، ١٤٢٩هـ.
١٥٨ص؛ ١٤×٢١سم
ردمك: ٩ ـ ١٧١١ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ـ المقالات العربية ـ السعودية أ. العنوان
ديوي ٠٨١,٥٣١ ١٤٢٩/٦٨٤١

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٦٨٤١ ردمك: ٩ ـ ١٧١١ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

ص.ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض: ١١٦٣٥
هاتف: ٢٧٤٦٦٧٧ ـ ٢٧٤٦٦٨٨، فاكس: ٢٧٥٩٠٢٠
البريد الالكتروني: *Azizomary@hotmail.com*

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إلى كل من يؤمن بعمق فاتحة الكتاب، وما فيها من حمد للَّه رب العالمين، وبوصف سيد المرسلين: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (١٠٧) [سورة الأنبياء]، وبأمره بالرحمة لكل أهل الأرض، (أرحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء)، أهدي هذه الحروف،،،

قائمة المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة:.....	١١
السلام العالمي:.....	١٧
من أجل عملية السلام.....	١٩
سلام ما بعد التوقيع.....	٢٣
ســـــلام الشـــــرق الأوســـــط والقنبلـــــة الباكستانية.....	٢٧
الفيتو: الموت للأحياء وتكريم الموتى.....	٣١
الطبيب القاتل.....	٣٥
السلام والقانون الإسرائيلي.....	٣٩
العدل العالمي:	٤٣
الأيدز والخطأ.....	٤٥
الدخان والإنسان.....	٤٩
دوران الرؤوس في البوسنة.....	٥٣
السجن في أمريكا.....	٥٦
التزوير العلمي في مؤتمر الإسكان.....	٦٠

الموضـــــــوع	الصفحة
الاقتصاد:	٦٧
الاقتصـــاد والســـيطرة العالميـــة(١)، (٢)	٦٩
أسعار البترول والقوة الشرائية.....	٧٧
القوى العالمية:	٨١
شيخوخة الأمم المتحدة.....	٨٣
السلطة الأمريكية الجديدة.....	٨٧
الغرب والغير.....	٩١
الغرب الوجه الآخر.....	٩٥
قوى العضلات في العقلية الغربية.....	٩٨
الـــــروس ومســـــلمو أوربـــــا(١)، (٢)، (٣).....	١٠٢
الشيشان والخوف النووي.....	١١٨
روسيا والدور والجديد.....	١٢٢
روسيا بين عهدين.....	١٢٩
أوربـــــــــــا والصـــــــــــرب(١)، (٢).....	١٣٤
شمال إفريقيا والمغرب العربي والإسلام(١)، (٢).....	١٤٤

.
النوبة..... ١٥٢
الكوريتان بين أمريكا والصين..... ١٥٥

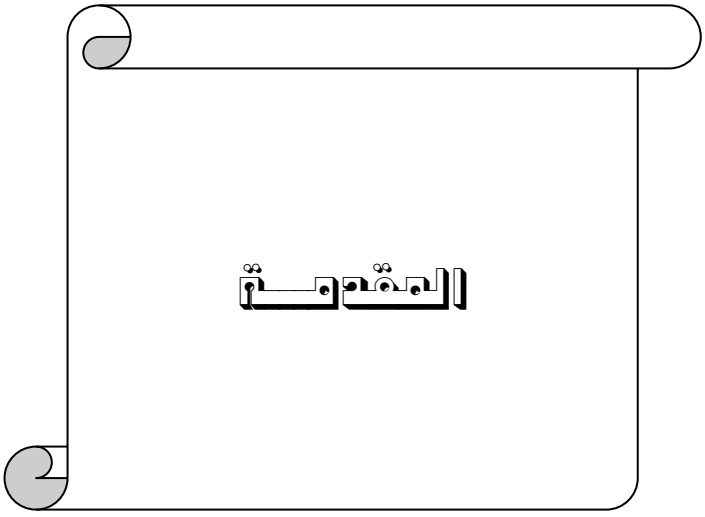
المقدمة

المُقـدِّمَة

الحمـد للّه رب العـالمين، نرددهـا دائمًـا وأبـدًا، ونستشـعرها في سـورة الفاتحـة، ونستشـعر معهـا أن هنـاك عـالمين وعـوالم وعـالم، نتعرف عليه ونعلم أن لـه ربًا وأنـه فـرض علينـا عبادتـه، وطلب منـا العلم بمـا في ذلـك مـن معنـى ومعرفـة وتعلم أحـوال العـالم والاطـلاع عليها، ولذلك فقد كان أفضل رجال العالم سيد البشر محمد ﷺ يعـرف أحـوال العـالم في زمانـه، فيوجـه أصـحابه إلى الحبشـة ويخبرهم: إن بهـا ملِكًـا لا يُظلـمُ عنـده أحـد، ويحـدثهم عـن فـارس وعن الروم، ويبعث لملوكهم، ويحدث ببعض صفاتهم، ﷺ.

كـان ذاك في زمانـه الـذي يعـد الاتصـال فيـه بالعـالم محـدودًا ووسائل الاتصال قاصرة.

ونحن اليوم في عصر تيسر فيه الاتصال، ومعرفة أحوال العالم، والسـفر حولـه في أيـام وسـاعات معـدودة، وزيـارة قاراتـه، والاطـلاع على سائر أحوالـه، ناهيـك عـن وصـول المعلومـة مباشـرة ومـن سـائر أنحـاء العـالم في نفـس اللحظـة وعلـى الهـواء مباشـرة، لأي إنسـان يملـك الإمكانـات علـى وجـه الأرض، (حتـى قـرب البعيـد)، كمـا صح عن النبي ﷺ الإخبار بذلك، وقد تعلمنا من آبائنا ومـن معلمينـا

أن نكون على اطلاع ومتابعين لكثير مما يجري في أنحاء العالم، كما يسر الله لي من خلال الدراسة والعمل تعدد الأسفار واللقاءات ومعرفة شيء من ذلك.

وقد أعانني الله على كتابة بعض المقالات في صحف ومجلات متعددة، محلية وعالمية، تناقش أوضاعًا عالمية مختلفة نشرت في حينها كان بعضها نتيجة رحلة أو بحث، رأيت إعادة نشرها مجتمعة في كتاب واحد ظانًا أنها تفيد في بعض القضايا التي تناقشها، ومنها على سبيل المثال:

الأمم المتحدة وعمليات السلام في منطقتنا الإسلامية، والعقلية الغربية في التعامل مع الآخرين، والأوضاع في روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وقضية الشيشان، وقضية البوسنة، وشمال إفريقيا وعلاقته بالعرب والمسلمين، والكوريتين وعلاقتهما بالصين وأمريكا، وقضايا السكان العالمية ومؤتمرها، إضافة إلى بعض المقالات حول الاقتصاد والسيطرة العالمية، وحول الأوضاع الداخلية في أمريكا، وقد اجتهدت في جمع هذه الموضوعات وغيرها بين دفتي هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القاري، مع التذكير بأنه جمع لمقالات منشورة في فترات سابقة عاصرت بعض الأحداث وارتبطت بها زمنًا، وربما جرت تطورات أخرى غيرت وجهة النظر المنشورة تلك.

وقد يلاحظ القارئ تعمدي أحيانًا الغوص في الجذور التاريخية لأي قضية عالمية، أطرحها، وأنا على يقين أن الأحداث الجارية في منطقتنا وفي أي مكان في العالم هي ثمار وقطاف لأحداث ذات جذور أبعد في أعماق التاريخ، تبدو وتظهر في أيامنا هذه سطحية وعادية، إلا أنها ذات عمق بعيد في الزمن وبعقلية المؤرخ أنظر للواقع فيما كتبته.

وما أكتبه كلام بشر يعتريه النقص، أسأل الله أن يجازيني بعفوه وغفرانه، كما آمل أن ينتفع بها القارئ، والله المستعان.

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

الرياض

١٤٢٩/١/١هـ

❁❁❁

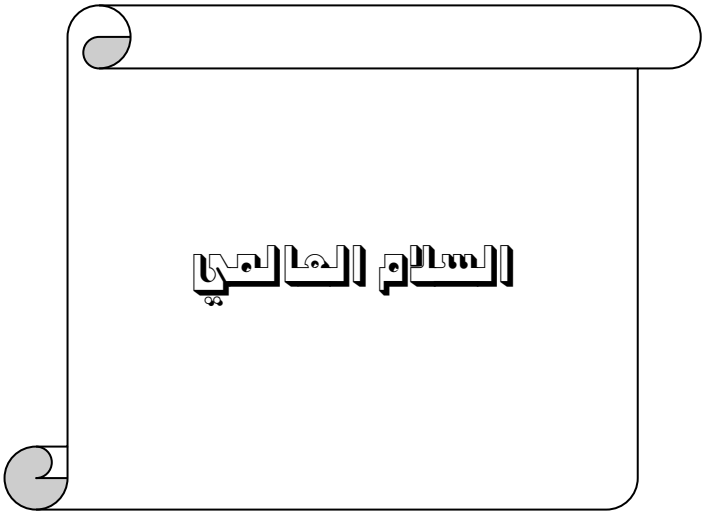
السلام العالمي

من أجل عملية السلام*

كل الحكومات العربية كانت قد قبلت الدخول في مفاوضات مع إسرائيل من أجل السلام في العالم العربي أو ما يسمى بعد ذلك تعنتًا وتزييفًا بـ(منطقة الشرق الأوسط) نسبة إلى مواقع تلك البلدان التي أطلقت علينا تلك التسمية وقبلناها بكل أسف وترجمناها حرفيًا من أجل أن يدخل معنا الغرباء الذين احتلوا فلسطين الغالية في تلك التسمية الرخيصة، وقبلت الحكومات العربية راضية أو مكرهة أو عاجزة أو بحسن نية أو سمها ما شئت على الدخول بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو على الأقل بمباركة عملية السلام الجارية في الشرق الأوسط تقديرًا للظروف العالمية أو انطلقت منها مبادرات لأمور سياسية قد يصعب الإفصاح عنها، أو ظنًا بأن يكون فيها بعض الإنصاف أو استعادة الحقوق، وكانت النتيجة إن الجميع كانوا يركبون عملية السلام كل حسب ظروفه ومقعده المُعد في تلك العربة وحسب الدرجة التي صنف بها عند إعداد بطاقات صعود العربة، ومن المعلوم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تحرك وتدير عجلة السلام، ويشاركها في الظاهر جمهورية روسيا الاتحادية ودول الاتحاد الأوربي، وبقية

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

الطاقم الخاص بعربة السلام والذين يديرهم قائد لا منافس له في ظل الظروف العالمية هذه الأيام وهي الولايات المتحدة الأمريكية، التي يفترض أن تعلب دورًا محايدًا في العملية ولا تنحاز مع إسرائيل ضد العرب أو العكس مع أنه ولا في المنام كما تخيل العرب ذلك أو كما ظنوا من خلال عملية السلام، مع العلم أن العملية في نظر البعض برمتها ميئوس منها أو على الأقل ميئوس من بحث القدس من خلالها وهي أغلى ما تحتله إسرائيل، إلا أن العرب وبحسن نية وربما بقبول للأمور الواقعية ظلوا متمسكين بالعملية ليروا نهايتها مع أنهم رأوا أولها، وكانوا يظنون أن أمريكا لم تنحز لأحد وأنها تريد أن تحقق للعرب وللإسرائيليين ما يريدون ولكن فهل يكفي حسن النيّة.

ولذلك فإن قضية الأراضي التي استولت عليها إسرائيل في القدس قبل أيام والتي عرضت على مجلس الأمن تطلبت من أمريكا أن تكشف انحيازها، وبدلاً من أن تكون محايدة في هذا الموضوع فقد استخدمت حق النقض(الفيتو) لكي تلغي مشروع قرار مجلس الأمن ولكي لا تغضب الزعماء الإسرائيليين وتطلب منهم المضي في مشروعات إسرائيل الكبرى والاستيطانية بمباركة أمريكية وليشرب العرب من ماء البحر إن شاءوا كما يقول المثل الشعبي العربي.

والأغرب من هذا أن يبرر الفيتو الأمريكي بأنه اتخذ من أجل عملية السلام.

وعلينا أن لا ننسى أنه من أجل عملية السلام تم الضغط من قبل القوة الأمريكية بكل أشكالها على مصر العربية لكي تجدد معاهدة عدم التسلح النووي ولما وقفت مصر موقفًا شجاعًا وصلبًا تم تجديدها من قبل الأمم المتحدة، والتلميح للدول الأخرى في المنطقة دون التجرؤ بذكر اسم إسرائيل فمن أجل عملية السلام لم ولن يتم الحديث عن القوة النووية الاسرائيلية لا تلميحًا ولا تصريحًا ومن أجل عملية السلام فعلى إسرائيل أن تعد ما تشاء من قوة نووية، ومن أجل عملية السلام فعلى الدول العربية أن تكتفي بالقوة النووية الاسرائيلية فهي ربما عن قريب تصبح دولة عربية وتتولى نيابة عن العرب حماية المنطقة.

وقد نسمع أخبارًا كثيرة مقبلة تتخذها أمريكا على هذا المنوال من أجل عملية السلام، وعيون السلام في المنطقة فربما تنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس من أجل عملية السلام، كما أنه من أجل عملية السلام قد تفاجأ دول المنطقة بأن يطلب منها إلغاء وزارات الدفاع وتسريح جيوشها أو الحد منها والتحكم في تعدادها وتسليحها وتنظيمها بل وربما مواقعها، وربما يطلب الاكتفاء بالجيش الإسرائيلي ليقوم بحماية المنطقة

من أجل عملية السلام، ومن أجل عملية السلام قد يطلب البعض من الدول العربية إلغاء جامعة الدول العربية أو نقل مقرها إلى تل أبيب وتغيير تسميتها إلى جامعة الدول الشرق أوسطية كما قال ذلك بعض السياسيين الإسرائيليين، ولو أن البعض اعتبروها مزحة ولكننا في زمن الرزح المشابهة للمزح.

وإننا نعلم أن الولايات المتحدة صديقة لبعض دول المنطقة والتي تعتمد على مصداقيتها في هذه العلاقة إن وجدت، كما أن لها معها مصالح مشتركة بل إن أهم المصالح الأمريكية في العالم تتواجد في منطقة الخليج كما صرح بذلك خبراء وزارتي الدفاع والخارجية الأمريكية منذ أيام، ونحن نتساءل ألا تستحق تلك المصالح المشتركة وتلك العلاقات شيء من التعقل والحساب للعقلاء من العرب أو عدم الإحراج لهم على الأقل، أم أنه من أجل عملية السلام يجب أن تسمع جميع الدول العربية لقول إسرائيل ومن يؤيدونها وأن تنسى أمريكا جميع مصالحها للحفاظ على مصلحة إسرائيل فقط ولو على حساب مصالح أمريكا نفسها، وأن على الجميع بما فيهم أمريكا أن يصفقوا ويقولوا لكل تصرفات إسرائيل يا سلام! ونحن نقول: يا سلام سلم يا الله يا مستعان.

سلام ما بعد التوقيع*

الحالة في العالم العربي وقضاياه المختلفة وعلى رأسها قضية فلسطين تشغل أذهان العرب والمسلمين والعالم أجمع، ولا شك أن للمنطقة العربية أهميتها الكبرى التي لا تصل إليها أي منطقة أخرى في العالم، ونشوء إسرائيل وسط المحيط العربي لم يكن بالأمر الهين على العرب والمسلمين في المنطقة وفي غيرها، وقد نتج عن ذلك العديد من الحروب والمشكلات التي ليس من السهل تناسيها، كما أنه ليس من اليسير على الفلسطينيين الذين فقدوا أراضيهم أن ينسوا ذلك بسرعة، حتى بعد توقيع من يمثلهم على معاهدات سلام مع إسرائيل، لأن القضية في نظري ليست مرتبطة بتوقيع المعاهدات بقدر ما هي مرتبطة بواقع تلك المعاهدات وتطبيقها، وهذا بالدرجة الأولى مرتبط بالجانب الإسرائيلي والقوى التي تقف معه، ولا شك أن هناك قوى كبرى وراء عملية السلام وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وهي جادة وتبذل قصارى جهدها في أن تكون العملية شاملة لكل الدول العربية في المنطقة، وبالتالي فمن المتوقع أن تقوم دول المنطقة جميعًا بالدخول

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

في هذه العملية بشكل أو آخر، حيث أن واقع القوى العالمية يفرض عليها ذلك في الوقت الراهن.

كما أن من أهم أسباب القبول والإقناع بالسير في عملية السلام الجوانب الاقتصادية الموعودة لكل الدول الداخلة في عملية السلام حيث أعطيت الدول وعودًا من قبل الولايات المتحدة والقوي الاقتصادية العالمية بالانفتاح والعلاقات الاقتصادية المتينة القائمة على الاستيراد والتصدير والتصنيع والاقتصاد المشترك مع إسرائيل ومع دول الغرب، ويتساءل المحللون ما الذي سيتحقق من ذلك على الأرض، وهل واقع الاقتصاد الإسرائيلي يسمح له بخدمة اقتصاد الدول العربية، في الوقت الذي تقول فيه التقارير أن إسرائيل تعاني من أزمات اقتصادية هل سيكون هذا مغريًا بعد التطبيق أو التطبيع للدول ذات العلاقة وهل فعلاً ستتواجد الشركات الكبرى في المنطقة لخدمة اقتصاديات العالم العربي كما يفهم من مجريات الأحداث.

وتقوم التحليلات بدراسة النتائج المتوقعة من عملية السلام في المنطقة بكل ما فيها من سلبيات وايجابيات على الجانبين العربي والإسرائيلي، وعلى الجانب الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، ويتحدث الخبراء عن ضرر متوقع للشركات

الأمريكية العاملة في العالم العربي بسبب ما سينتج من منافسة الشركات الاسرائيلية لها في السوق العربية.

لا شك أن أحد أهداف إسرائيل من الدخول في هذه العملية هو الخروج من عزلتها والامتداد في العالم العربي ثقافيًا واقتصاديًا وسياحيًا كما صرح بذلك الخبراء الإسرائيليون في كل المناسبات، ويتساءل المحللون دائمًا عن النتيجة المستقبلية، وهل سيتيح الواقع العربي الشعبي والاجتماعي للإسرائيليين هذا الأمر وهل يستطيع الإسرائيليون التجول بحرية في العالم العربي بعد المعاهدات وهل الأمر سيكون سهلاً بالنسبة لهم خصوصًا بعد التجربة المصرية غير المشجعة.

ويجيب بعض المحللين الغربيين على التساؤلات من خلال بعض المقالات المطروحة في الصحف الأمريكية بأن السلام الجاري والدائر الآن هو سلام رسمي على مستوى الحكومات في المنطقة وهو قوي من هذا الجانب، أما المستوى الشعبي والاجتماعي فليس من السهولة بمكان أن يتخلص مما في ذهنه وفي وعيه الباطن من صور العداء المختلفة التي كانت تسود بين طرفي الصراع العربي والإسرائيلي، والتي تزيدها الأحداث والاعتداءات الاسرائيلية التي لم ولن تتوقف، ولذلك فإن بعض هؤلاء الخبراء يؤكدون على أن نتيجة عملية السلام في المنطقة سوف تكون بالنسبة إلى

الإسرائيليين أقل بكثير مما توقعوه لأن العزلة والحاجز النفسي بين الشعوب العربية ويهود إسرائيل لا يمكن إنهائها بمجرد التوقيع على المعاهدة، وإسرائيل تزيدها باستمرار، ولذلك فإن أولئك الخبراء يدعون الولايات المتحدة وإسرائيل بالدرجة الأولى إلى الاهتمام بهذه القضية وعدم التنصل من المسؤولية وعدم تجاهل دور المجتمعات العربية المقبل في السلام الواقعي وفي واقع السلام بعد التوقيع، ويؤكد أولئك الخبراء على أن العمليات العسكرية ضد الإسرائيليين في فلسطين قد تضاعفت بعد توقيع معاهدة السلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، كما أن هناك العديد من الخلافات بدأت تظهر بين الرسميين الفلسطينيين وبين الإسرائيليين في الجوانب الأمنية والاقتصادية، مع أن المعاهدة الفلسطينية الاسرائيلية هي أولى المعاهدات وبالتالي فهي أولها أيضًا على محك التطبيق، كما أن إسرائيل تلمح بين فترة وأخرى بإلغائها من جانبها، إن هذه التساؤلات والتوقعات سيجيب عليها الواقع المقبل والذي لن تتوقف إسرائيل بعنجهيتها المعروفة عن زيادة تعقيده، والله المستعان.

سلام الشرق الأوسط والقنبلة الباكستانية*

دولة باكستان الإسلامية من أهم مراكز القوة العسكرية في العالم الإسلامي كما أن فيها قوة بشرية كبرى لا يستهان بها حيث يقارب سكانها المئة مليون نسمة وهي من أقرب الدول الإسلامية الكبرى إلى مواقع الأحداث في الشرق الأوسط، وهي وإن كانت طرف غير مباشر في أحداث السلام في منطقة الشرق الأوسط فإن لها تأثيرها على الأحداث بطريقة أو أخرى وستحاول إسرائيل أن تجرها إلى العلمية لا بهدف خدمة عملية السلام في المنطقة بل بهدف إبطال المشروع النووي الباكستاني.

فمن المعروف أن باكستان منذ نشأتها وهي تعاني الأمرين من جارتها الهند التي اقتطعت كشمير من المسلمين، وتمكنت من عزل بنجلاديش عن باكستان وإيقاع العداء بين الشعبين المسلمين، كما أن الهند خاضت حروبًا عديدة مع باكستان، ولا تزال تهددها في كل وقت وحين بحرب تحاول من خلالها القضاء على دولة باكستان الإسلامية برمتها، والهند من الدول المتقدمة في مجال الأبحاث العسكرية وخصوصًا الأبحاث النووية التي

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

تشكل تهديدًا خطيرًا لدولة باكستان الإسلامية، وبالتالي فإن باكستان سعت جهدها منذ سنوات عديدة إلى إيجاد مشاريع للأبحاث النووية لكي تقف على قدميها ضد أي تهديد هندي مستقبلي لها وقد كان للرئيس الباكستاني السابق ضياء الحق ـ رحمه الله ـ دور كبير في استمرار المشروع، وقد هددت بلاده أكثر من مرة كما هدد هو شخصيًا إن لم يتوقف عن المشروع النووي، وقد نفذت تلك التهديدات، فأغتيل ضياء الحق ـ رحمه الله ـ في قصة لا تزال ملابساتها غامضة، غير أن المطلعين يؤكدون أن وقوفه بصلابة مع المشروع النووي الباكستاني كان له الدور الرئيس في اغتياله، إضافة إلى موقفه في الحرب الأفغانية آنذاك، ولا تزال باكستان تعاني ضغوطًا كبيرة وتهديدات عظيمة، وإغراءات كبيرة أحيانًا بهدف إيقافها عن مشروعها النووي، والذي تسميه بعض الأوساط الاسرائيلية والغربية في آن واحد مشروع القنبلة الإسلامية، وقد قامت الولايات المتحدة بإلغاء صفقات كبيرة للسلاح مع باكستان وعلى رأسها مجموعة من الطائرات العسكرية كانت قد عقدتها مع باكستان واستلمت جزءًا كبيرًا من قيمتها، ورفضت الولايات المتحدة تسليم الطائرات المتعاقد عليها إلى باكستان بموجب قرار من الكونجرس، كما تقول الإدارة الأمريكية، كما رفضت في

الوقت نفسه إعادة المبالغ المدفوعة إلى باكستان، كل ذلك من باب الضغط على باكستان من أجل إيقاف مشروعها النووي، ولا تزال دولة باكستان الإسلامية تعاني من مثل هذه الضغوط، وقد برزت في الأيام الأخيرة مشكلة القوة النووية الاسرائيلية ومحاولة الدول العربية بحث هذه المشكلة على مستوى الدول المشاركة في سلام الشرق الأوسط، وجاءت ضغوط كبيرة على مصر من أجل الموافقة على تفتيش مراكز الأبحاث النووية المصرية، دون معاملة إسرائيل بالمثل، وعند الضغط المؤدب والبسيط على إسرائيل من قبل الدول الموالية لها بما لا يغضبها فإنها وبما يوافق السلام الإسرائيلي لم تكتف إسرائيل برفض إدخال الموضوع النووي الإسرائيلي في المباحثات بل عمد بعض المسؤولين الإسرائيليين إلى إثارة الموضوع النووي الباكستاني، مع أن باكستان ليست دولة عربية، ولا تربطها مع إسرائيل حدود مشتركة بل وليست دولة شرق أوسيطة، ولا علاقة لها بما يجري في مؤتمر السلام، ومع ذلك فإن إسرائيل تثير هذه المشكلة وتحاول جر باكستان إلى هذه المصيدة، وبالطبع بمباركة ومساعدة من يوافقون ما تريد إسرائيل من الدول الكبرى في الوقت الذي تتهرب إسرائيل نفسها من بحث موضوع القوة النووية الإسرائيلية، إذًا فمشكلة إسرائيل في نظر المسؤولين فيها ليست مع الدول العربية وحدها بل هي مع

العالم الإسلامي، ولذلك فإنها تحس بالخطر من أي مصدر قوة في العالم الإسلامي قاطبة، وعلى رأس ذلك القوة النووية الباكستانية وأما الخطر على باكستان من القوة النووية الهندية فهو أمر هين عند من يساندون مطالب إسرائيل ولعل مائة مليون في باكستان لا يستحقون الاهتمام بأمنهم عند البعض، والله المستعان.

الفيتو: الموت للأحياء وتكريم الموتى*

لا تزال قضية المسلمين في البوسنة هي الشغل الشاغل للمسلمين ولعقلاء العالم، وتجري هذه الأيام كما جرت سابقًا مذابح رهيبة للمسلمين، على مرأى ومسمع من دول العالم ومن هيئة الأمم المتحدة وقد استغربت شخصيًا ما ذكر في الأسبوع الماضي من دراسة جدية للقضية من قبل أعضاء حلف الناتو، حيث تناقلت وكالات الأنباء تصريحات لبعض المسؤولين الأمريكيين والغربيين على حد سواء عن استعداد الحلف لقصف بعض المواقع الصربية لفك الحصار عن المسلمين المحاصرين في بعض المناطق اليوغسلافية، واستغربت هذا الأمر لأن لدي قناعة شخصية إن ما يقوم به الصرب ليس عملاً خاصًا بهم، بل هو في تصوري كما قلت في مقال سابق عمل أوربي مشترك هدفه تطهير أوربا من بقايا المسلمين الذين جاء بهم الأتراك كما يزعمون، مع علمهم المؤكد أن البوسنيين شعب أوربي أصيل من الشعوب الأوروبية المعروفة، إلا أنه اختار الإسلام طريقًا منذ قرون، وبالتالي فقد حقه في الحياة على الأرض الأوروبية كما صرح بذلك رجال الدين النصارى الأوروبيين وبعض الساسة والمفكرين، وقد كان من أول المنتقدين

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

لبحث قضية قصف الصرب بالطائرات من قبل حلف الناتو الأمين العام للأمم المتحدة بطرس بن بطرس غالي ذلك الرجل الذي ما يزال يرى إعطاء الصرب فُرص أخرى للمباحثات ولإنهاء القضية سلميًا، ولست أدري لم هذه الفُرص هل هي لمزيد من القتل والتشريد، أم انتظارًا لموت آخر مسلم بوسني في المنطقة، أو انتظارًا لفرصة يُحمَّل فيها المسلمون وحدهم خطأ ذبحهم كالنعاج ليخرج الصرب أبرياء مما عملوا، وهذا ما أحسست به أثناء رؤيتي له وهو يتحدث عن الموضوع، وتذكرت أنني قبل أكثر من عام كنت ضيفًا على الهواء في برنامج إذاعي عربي في الولايات المتحدة الأمريكية وكان موضوع البرنامج عن ما يحدث لمسلمي البوسنة، وقد سُألت تكرارًا عبر الهاتف أثناء البرنامج وعلى الهواء عن موقف الأمم المتحدة المريب من القضية، وعن موقف أمينها العام شخصيًا فحاولت أن كون مؤدبًا في الحديث عن الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة الجديد في تلك الفترة والذي فرح به الكثير من العرب وظنوا أنه وضع من أجل سواد عيونهم، فحاولت أن لا أستثيرهم أو أبين خيبة أمل الجالية العربية فيه، ومع الأيام اتضحت وتتضح حتى الآن مواقف الأمم المتحدة من قضية البوسنة وخصوصًا موقف أمينها العام الذي كان أول الرَّادين على التصريحات التي أطلقها زعماء الغرب في الأسبوع الماضي بوجوب

ضرب المواقع الصربية بالطيران ولم تكن سوى كلامًا كما أتضح، وكان السيد بطرس أول الرافضين لهذا المشروع، ولعله قد أوحي إليه بهذا الأمر كما يحدث لبعض العرب في زمن الغرب، ويظهر أن الغرب وزعمائه كلما أحسوا بشيء من التحرك لهذه القضية من قبل الدول الإسلامية حاولوا أن يطلقوا مثل هذه التصريحات بتوقيت محدد بدقة، لكي يبردوا المسلمين ويعطوهم بصيص أمل، أو على الأقل مبررًا لترك الموضوع عليهم أي على العالم الغربي، ونحن جميعًا نعرف حال العالم الإسلامي ودوله المختلفة إلا ما رحم الله.

وقد فوجئ البعض أنه بعد صدور تلك التصريحات بيوم واحد فقط إذا ببعض المسؤولين الأمريكيين يسحبون مفهومها من أذهان الناس، ويبررون تخليهم عن المشروع، أما عاطفتهم وإنسانيتهم فهي واضحة وقوية ولإنسانيتهم فإنهم يريدون من الناس أن لا ينسوا ما فعله النازيون باليهود في أيام هتلر ويتركوا موضوع ذبح البوسنة، ولذلك فقد بادر الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في نفس الوقت بزيارة العاصمة التشيكية براغ، وكان من أول برامجه في براغ زيارة مقابر اليهود في تلك المدينة، وبالطبع لم ينسى أن يضع الطربوش المعهود لمثل هذه المناسبة، مضى على قتل اليهود إن صحت الروايات أربعين سنة ولا زالوا يتذكرونهم أثناء

قتل المسلمين في البوسنة، أما البوسنيون الذين يذبحون ذبح الخراف في هذه الأيام فما زال الموضوع فيه نظر، ويحتاج إلى مزيد من التفكير، وما أرخص دماء المسلمين في عالم اليوم أو ما سمي بالنظام العالمي الجديد وبالمناسبة فلن أنسى أيضًا الموقف الذي وقفه الرئيس الأمريكي نفسه في الأسابيع الماضية حينما قام باستقبال المدعو سلمان رشدي الذي يكن للإسلام كل كره وعداء، وكتاب الآيات الشيطانية واحد من الشواهد كما يكن له المسلمون كل كره وعداء وإن اختلفت أساليبهم، وقد أساء السيد كلينتون بعمله ذلك إلى شعور ستة ملايين مسلم في الولايات المتحدة نفسها، إضافة إلى ما يزيد عن الألف مليون مسلم خارجها، مع العلم أن هناك ما يزيد على خمسين رئيس دولة في العالم يحاولون الحصول على موعد لمقابلة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ولا يجدون الوقت لذلك، أما لسلمان رشدي فقد وجد الوقت وقُوبل باسم حرية الأفكار، مع أن أفكاره هي العداء للإسلام، والعداء للإسلام في نظرهم مشروع بإسم حرية الأفكار.

أعود للتأكيد على أنهم لم يجدوا مبررًا لإيقاف قتل مسلمي البوسنة ووجدوا مبررات وأوقات لزيارة قتلى النازية فأي نازية أشد من هذا، وصدق الله العظيم ﴿**لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ** (١٠)﴾ [سورة التوبة]، والله المستعان.

الطبيب القاتل*

قضية فلسطين من أهم القضايا التي تشغل العالم الإسلامي والعربي بل والرأي العام العالمي، ومن أجلها تدور المفاوضات وتتسلح دول المنطقة، وتبني إسرائيل لوحدها شعبها وتسلحه باستمرار للقتل والمحافظة على ما احتلته من أراضي بل والطمع في أراض جديدة إن أمكنها ذلك، مهما وقعت من عهود ومواثيق، وقد حدثت جريمة المسجد الإبراهيمي في الخليل يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان حيث ذهبت قافلة من الشهداء قاربوا السبعين شهيدًا، كانوا يؤدون صلاة الفجر بعد أن أصبحوا صائمين صبيحة ذلك اليوم، ولم يكونوا يحملون سلاحًا ولا حجارة ولم يمروا بطريق عسكري. إنما كانوا يؤدون الصلاة لله في بيت من بيوت الله بعد أن أصبحوا صائمين لله، فهم ـ بإذن الله ـ من الشهداء الذين أحسن الله لهم الخاتمة فقتلوا وهم سجودًا له تبارك وتعالى، ولكن الأحياء أبدانًا والميتي القلوب من عرب اليوم ومسلمي النوم، ما موقفهم أمام الله سبحانه وتعالى مما حدث لإخوانهم، لقد بدأ أرباب السياسة محاولة استغلال الحادث

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

لأنفسهم وخصوصًا من بعض الطوائف الفلسطينية التي لا تعرف طريق المساجد وتتظاهر بالبكاء لموت الساجد ثم تضع يدها في يد من أعطاه الرشاش ودربه على قتل المسلمين والعرب دون تمييز أو إحساس إن هذه المذبحة التي جرت لا يطفيها الاستنكار والاحتجاج لأن ملفات الاحتجاج عند العرب لم تعد تتحمل أوراقًا أخرى في تصوري حيث أنها مليئة تمامًا لدرجة التمزق وتناثر بعضها.

إن القاتل يهودي تربى في أزقة وشوارع بروكلين في نيويورك يحمل الجنسيتين الأمريكية والإسرائيلية في وقت واحد، وبعد جريمة القتل احتفل يهود إسرائيل ويهود نيويورك في وقت واحد بالحادث وفرحوا بسيلان دماء الشهداء، في الوقت الذي تظاهرت حكومة إسرائيل بأن ما حدث لم يكن بموافقتها ولا بعلمها، مع العلم أن هؤلاء المحتفلون هم الذين ينتخبون الحكومة الاسرائيلية ويسقطونها متى أرادوا ذلك فهي من طينتهم وممثل لهم، وليس مستغربًا أن يتهموا الجاني بأنه غير عاقل أو غير طبيعي وغير ذلك من الأمور، والحق أن كره هذا الرجل وأمثاله من يهود للعرب والمسلمين يفقدهم عقولهم في كثير من الأحيان فلا تستطيع الحكومة الاسرائيلية أن تعتبره من العقلاء مع أنه يحمل شهادة في الطب معترف بها من إسرائيل بل ومن أمريكا، كما أنه ذو رتبة

عالية في الجيش الإسرائيلي، ولكنه وأمثاله يحملون رتبًا أعلى في الحقد علينا وعلى كل من يأمون المساجد، وإني لأتساءل هنا ما الذي سيحدث في العالم لو أن ما جرى كان ضد يهود في معبدهم أو نصارى في كنيستهم، لقد كان الوضع ولا شك سيتغير حتى لو كان القتيل شخصًا واحدًا.

جرى ما جرى والعرب وغيرهم يبحثون السلام والنتيجة أن الفلسطينيين يتساءلون سلام من إذا كان يفعل بنا مثل هذا؟. سلام من إذا كان اليهودي يحمل رشاشه في كل مكان والفلسطيني لا يحمل حتى سكينة البصل خارج منزله ليدافع عن نفسه؟، وصدق الشاعر العربي في قوله:

قتل إمرء في غابة جريمة لا تغتفر

وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

أن ما جرى ولا شك سيساهم في يأس الفلسطينيين من نتيجة المفاوضات، مع أن كثيرًا منهم يعلمون نتيجتها مقدمًا، (وهو البحث البائس من قبل إسرائيل عن رفع المقاطعة العربية عنها لتتمكن من التوغل اقتصاديًا ومن خلال ذلك فكريًا وسياسيًا في العالم العربي) لا شك إن ما جرى في الخليل لن يتوقف عند هذا الحد، فوكالات الأنباء العالمية تتحدث عن أن ما جرى سيؤثر على

المفاوضين الفلسطينيين، إذ أن استمرارهم في المفاوضات على ما هي عليه من تنازلات وفشل في وقت تنزف فيه الدماء الفلسطينية محرج لهم، ولن يجعل لأي اتفاق يتم معهم أي أرضية على الساحة الشعبية الفلسطينية، وهذا بالطبع سيؤثر على موقف الدول الكبرى بل وحتى إسرائيل نفسها من الوفد الفلسطيني ومنظمة التحرير وحكومتها، خصوصًا أنها لا تزال حكومة منفى في اصطلاح السياسيين. ولا شك أن اليهود وإعلامهم العالمي سيذكروننا هذه الأيام بقتلى النازية فأي نازية أشد من هذا وصدق الله العظيم: ﴿**لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ** (١٠)﴾ [سورة التوبة]، والله المستعان.

❁❁❁

السلام والقانون الإسرائيلي*

تثور هذه الأيام مشكلة إقامة جماعات من اليهود لمستوطنات جديدة في الضفة الغربية المحتلة في مناطق مملوكة لبعض العرب، وهذه الخطوة تعد انتهاكًا لاتفاقية السلام، وسطو على أراضٍ بطريقة غير شرعية، وقد قامت القوات الإسرائيلية بمساعدة المستوطنين اليهود على طرد العرب من أراضيهم بالقوة، ومن المعروف أن اتفاقية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين تمنع إقامة مستوطنات جديدة بل ويطالب الفلسطينيون من خلال المفاوضات القائمة بإزالة بعض المستوطنات القديمة كما وعدوا في الاتفاقية.

وحين قام الفلسطينيون بالضغط على الحكومة الإسرائيلية لإيقاف المستوطنين اليهود الجدد تظاهرت حكومة إسرائيل بأن ما يجري ممول من بعض الجمعيات الدينية اليهودية، وإنها لا تستطيع إيقافهم لأن عملية تمويل المستوطنة ليست من قبل الحكومة الإسرائيلية وإنما من قبل تلك الجمعيات، وبالتالي فهي عاجزة عن إيقافها وفي هذا درس للعرب لعلهم يعوا مدى ما لتلك الجمعيات الدينية اليهودية من سلطة على الحكومة الإسرائيلية.

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

ليت الأمر توقف عند هذا الحد، لكن الذي جرى هو أن الحكومة الإسرائيلية سعت لدى الكنيست الإسرائيلي من أجل سن قوانين تؤيد هذه العملية الاستيطانية، كما بادرت إلى سن قوانين تمنع المظاهرات وأي أشكال الاعتراض على هذه العملية الاستيطانية، وحين اشتكى الفلسطينيون من الوضع زعم الإسرائيليون أن الوضع مشكلة قانونية وأن على الفلسطينيين الاستئناف لدى المحاكم الإسرائيلية، في الوقت الذي تعمل الجرارات على إتلاف أشجارهم ومنازلهم، وتقوم القوات الإسرائيلية بضربهم وتفريغهم بعد أن كانوا شجعانًا جعلوا أجسادهم متاريس ضد الجرافات الإسرائيلية وخالفوا التهديدات الإسرائيلية والقانون الإسرائيلي المزعوم. وحين هددت السلطة الفلسطينية برفع القضية لمجلس الأمن زعم الإسرائيليون أن ذلك يهدد عملية السلام، وأنه ليس من حق مجلس الأمن التدخل في القضية لأن المسألة مسألة قانونية إسرائيلية بحتة، وقد أصبح الوضع متأزمًا وأصبحت السلطة الفلسطينية في موقف حرج وأصبحت عملية السلام برمتها مهددة، ولكن الذين يعرفون العقلية الإسرائيلية يعلمون أنها دائمًا تزعم القانونية وأن قانونيتها واتفاقياتها تخدم الاستيطان اليهودي في فلسطين وأن الحكومة

الإسـرائيلية كاملـة قامـت علـى أصـول دينيـة لا يمكـن بـأي حـال تجاهلها وأنها لا تعطي للقانون والمعاهدات أي قيمة.

العدل العالمي

الأيدز والخطأ*

ابتلى العالم اليوم بالعديد من الأمراض المعدية والمنتشرة في مختلف أنحاء الكرة الأرضية، وكثير من هذه الأمراض الجسدية ناتج عن أمراض خُلقية بالدرجة الأولى، ومع ذلك يظل بني الإنسان يتيهون ويتخبطون في البحث عن العلاج الحقيقي لهذه الأمراض في المعامل والمختبرات واللقاءات العلمية المختلفة التي تهتم في كثير من الأحيان بالمظهر وتنسى الجوهر، ومن أثقل الأمراض المعاصرة وأخطرها في هذه الأيام مرض نقص المناعة(الأيدز)، ليس ذلك لأنه مرض قاتل ـ والعياذ بالله ـ بل لأنه مع القتل مرض معد وخطير ينتشر بأبسط الطرق، وقد كنت منذ سنوات أتابع ما يطرح على الساحة الغربية في محاولة لعلاج هذا المرض الخبيث، وتعجبت كثيرًا من التوجه العام المطروح في الغرب لمقاومته، وذلك التوجه عمومًا يركز على الأبحاث العلمية والمخبرية لاكتشاف سر فيروس الأيدز ومعرفة الطرق والعقاقير المناسبة للقضاء عليه، وأبحاث أخرى توجهت لاكتشاف ما يناسب من أدوية لتخفيف

* نُشر هذا المقال **بجريدة البلاد**، الثلاثاء ٢٩ ذو القعدة ١٤١٤هـ الموافق ١٠ مايو ١٩٩٤م، العدد(١٠٨٩٢).

المرض على المصابين به، يصاحب كل ذلك مطالبات شعبية ورسمية على مستوى الغرب بتوفير الأموال الكافية لهذه الأبحاث، هذا في مجال المعالجة للمرض وأثاره وهو طيب إلى حد ما.

أما في مجال الوقاية من المرض قبل وقوعه فهناك تخبط كبير في هذا الأمر حيث توجد اتجاهات مختلفة لدى علماء الطب والاجتماع حول هذا الأمر وقد ساد بينهم في الغالب التوجه إلى التربية الجنسية ـ كما يسمونها ـ حيث تدرس في المدارس عندهم أفضل الطرق للوقوع في الفاحشة، واستعمال المطهرات والعوازل والواقيات وغير ذلك من الأسباب المادية، وهذه القضايا تدرس للتلاميذ في المدارس وتأتي في الغالب بنتائج عكسية، إذ يقدم كثير من المراهقين بعد هذه الدروس على الوقوع في الفاحشة، يشجعهم على ذلك ما يوزع عليهم مجانًا من واقيات للجراثيم كما يزعمون ويفاجئون بأن النتيجة زيادة في المرض بين الناس، ليس هذا فحسب بل وزيادة في الحمل بين المراهقات وصغيرات السن، ومن يتابع معدلات الحمل بين المراهقات في المجتمعات الغربية يجد العجب العجاب وتتزايد المشاكل تفاقمًا، حيث تزيد مشاكل الإجهاض في تلك المجتمعات وما يترتب عليها من أمور مختلفة كما تزيد نسبة الولادات غير الشرعية وخصوصًا بين الأسر الفقيرة التي لا تجد ثمن عمليات الإجهاض، وينتج عن ذلك

مشاكل اجتماعية لا حصر لها، وبالتالي فإن ما يزعمون أنه توجيه علمي وتثقيفي تكون نتيجته عكسية، والغريب في الأمر أن هناك أموالاً طائلة تصرف للإعلان في وسائل الإعلام المختلفة ومنها بعض البرامج الموجهة للشباب والأطفال تؤكد عليهم استعمال الموانع والواقيات المادية، ولكنك قلَّ أن تجد منها ما هو موجه لمنع العلاقة الجنسية غير الشرعية، وقد فوجئت قبل أسابيع، أيام أسبوع الأيدز العالمي أن بعض الدول الأوروبية لكي تقنع الناس باستعمال الواقيات قد صنعت منها أحجامًا كبيرة جدًا وألبستها بعض المباني العالية جدًا في المدينة فأصبح الناس صغارًا وكبارًا ينظرون في وسط مدينتهم تلك إلى أشكال ذكورية لا يمكنني وصفها في المقال مما يمكن أن يكون مثار سخرية، وهذا بالطبع تأكيد على الوقوع في الفاحشة مع استعمال هذه الأشياء.

والعلاج الواضح الناجح هو وصفة من خلقَ البشر والأعلم بما يصلح حالهم، العفة .. العفة .. العفة..، وصدق رسول الله ﷺ: ((لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا))،[1] وقانا الله وإياكم من الفاحشة وأسبابها وطهر بلاد المسلمين من دعاتها

(1) رواه ابن ماجه، **في سننه**، باب العقوبات، ج٢ ص١٣٣٢.

وحفظ البلاد والعباد من كل سوء ومكروه، فهو وحده المستعان وعليه التكلان.

الدخان والإنسان*

قبل أيام مر على العالم اليوم العالمي لمكافحة التدخين وقد تعاونت الكثير من وسائل الإعلام المختلفة المحلية والعامة، في لفت الأنظار إلى هذه المشكلة التي تعاني منها المجتمعات البشرية عمومًا، وهي ظاهرة خطيرة تؤدي لتعدد الأمراض البدنية التي تهدد صحة الإنسان كما أن لها أضرارًا مالية واجتماعية، فكم من إنسان بحاجة ماسة إلى كل قرش ينفقه، ومع ذلك فإن جزء من دخله يذهب سدى في مجال التدخين وخصوصًا من طبقة العمال ومن في معناهم، وكم من إنسان معتل الصحة بحاجة إلى كل نسمة هواء نقية ومع ذلك فإنه عن عمد وسابق إصرار يلوث الهواء الذي يستنشقه بالدخان الخانق الذي يمرض الأصحاء فما بالك بأمثاله من المرضى وكم من إنسان متزوج له شريكة حياة يعذبها ليل نهار برائحة الدخان واختناقاته دون أن يكون لها ذنب سوى أنها زوجة مدخن.

في الدول المتقدمة هناك عناية واحترام كبير لغير المدخنين

* نُشر هذا المقال **بصحيفة البلاد**، الأربعاء ٩ محرم ١٤١٦هـ الموافق ٧ يونيو ١٩٩٥م، العدد(١٤٢٣٩).

يضمنها لهم القانون والنظام حيث تقسم الأماكن العامة في المطارات ومحطات القطار والصالات العامة والمطاعم وغيرها إلى أماكن يسمح فيها بالتدخين وأماكن يمنع التدخين فيها منعًا باتًا وليس من حق أي مدخن إزعاج الآخرين من غير المدخنين وتقوم منافسة بين المدن المختلفة لمقاومة التدخين حيث تشجع المطاعم والمحلات التجارية التي تمنع التدخين، ومن المعروف أنه لا يسمح بالتدخين في الطائرات في الأجواء الأمريكية سواء على الشركات الأمريكية أو الأجنبية، فما أن تصل أي طائرة إلى أجواء أمريكا حتى يعلن قائدها أن الأنظمة والقوانين الأمريكية تمنع منعًا تامًا التدخين على متن الطائرة، وتقوم باستمرار محاولات جادة للضغط على شركات صنع السجائر الأمريكية وهي أكبر الشركات في العالم، وبالتالي فهي تلجأ إلى تصدير سمومها إلى البلاد الأخرى في الوقت الذي يحد فيه من تسويقها داخل أمريكا.

ولا شك أن شركات السجائر العالمية تجني البلايين من الدولارات من صناعة السجائر وتصديرها إلى الدول الفقيرة التي يذهب جزء كبير من مدفوعاتها للسجائر وأمثالها من السلع الضارة في وقت تحتاج فيه تلك الدول وشعوبها إلى لقمة العيش وحبة القمح والى كل فلس ينفق.

وتوجد لدينا ــ والحمد لله ــ في هذا البلد أنظمة واضحة وصارمة في منع التدخين في المصالح الحكومية العامة وفي المدارس والمستشفيات وفي الرحلات الجوية والقطارات، والمواطنون والمقيمون يتقيدون بها في الغالب، ولكن بعضًا منهم يستهتر بهذه الأنظمة في بعض الأحيان ويخرقها، وهنا لا بد من وقفة صارمة وتعاون كامل من قبل جميع المواطنين لمنع أمثال هؤلاء المستهترين بالناس وبأذواقهم وراحتهم والملوثين الهواء النظيف الذين لا يتقيدون بتعليمات النظام ويزعجون الآخرين دون وجه حق.

ولا شك أن المجتمع بعمومه يجب أن يشجع على منع التدخين والحد من بيع الدخان وانتشاره وأن المدخنين هم أولى الناس بالمساعدة على منع انتشار الدخان فهم قد ذاقوا مرارته ويعلمون مضاره أكثر من غيرهم، ولذلك فعليهم أن يساعدوا على الحد من انتشاره وأن يساعدوا أحبابهم من أبنائهم وأصدقائهم على عدم الوقوع في براثن الدخان.

وقبل أيام اطلعنا على إحدى القرارات التي صدرت في دولة الكويت والتي تمنع منعًا باتًا الإعلان عن التبغ ومشتقاته في وسائل الإعلام المحلية، وهذه خطوة طيبة، وهي ـ ولله الحمد ـ مطبقة منذ القدم في وسائل الإعلام المحلية في المملكة نحمد الله على ذلك وحبذا أن نرى منع الإعلان عن الدخان ومشتقاته في

وسائل الإعلام التي تنتشر في المملكة أو على الأقل الصحف والمجلات التي تصدر من الخارج لكنها توزع أعدادًا كبيرة في المملكة فحبذا أن لا نرى فيها مثل هذه الإعلانات.

ومن المعروف أن الجمارك التي تفرض على الدخان عالية جدًا مقارنة بالمواد الأخرى المستوردة، وحبذا أن تضاعف تلك النسبة وأن يفرض عليه ضرائب إدارية لرفع سعره قدر الإمكان حتى يحس المدخنون بوطأة السعر وبالتالي يحدوا من استخدامه ويقللوا من التدخين.

دوران الرؤوس في البوسنة*

العقل العربي والعقل المسلم يصدم هذه الأيام ومنذ زمن بعيد بحجارة تكسر الرأس، أو قل بأحداث تفسخ العقل وتجعل العاقل حيران ولا يستطيع تفسير ما يجري في واقع الأحداث في الوقت الذي يلقن فيه الدروس تلو الدروس عن القانون الدولي والعالم الجديد، والعدل الجديد، والعدل والحق وهيئة الأمم ومجلس الأمن، والقوى الدولية الكبرى التي تحافظ على السلام العالمي وحقوق الإنسان والسلام في الشرق الأوسط وغير ذلك من العبارات واللوحات والشعارات التي يرددها الإعلام العالمي في كل مكان، وإنني وغيري كثير حين نسمع الأخبار أو نشاهدها في بعض المحطات أو نقرؤها من خلال بعض الصحف المحلية والعالمية نستغرب كيف يتحمل المرء المسلم والعربي تلك الجرعات اليومية من الأخبار التي أقل ما يقال عنها أنها سامة، فهو حين يشاهد أخبار العالم الإسلامي يجد المسلمين يقتلون في البوسنة والهرسك ويبادون كما تباد الفئران والحشرات الضارة على مرأى ومسمع من القوات الدولية في المنطقة التي زعموا أنها جاءت لتحمي مناطق

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

معينة، وإذا بها تحمي حدود المسلمين من أن يصلها السلاح فلا يزال المسلمون في البوسنة محاصرون من قبل القوى الأوروبية وبقرارات الأمم المتحدة التي تمنع وصول السلاح إليهم بموجب قرارات الأمم المتحدة، ولكن في الوقت نفسه تقوم بعض الدول الكبرى التي لها عضوية دائمة في مجلس الأمن الدولي بإيصال السلاح وبكميات كبيرة إلى الصرب حيث قامت روسيا قبل أيام بإيصال أكثر من أربعة قطارات محملة بالعتاد والأسلحة إلى القوات الصربية المعتدية ومجانًا بالطبع، فهي أقل ما يمكن أن يفعلوه لإخوانهم الأرثوذكس كما صرح بذلك الصرب وبعض الروس، أما المسلمون في البوسنة فقد توقفت الولايات المتحدة عن منع السلاح لهم وتوقفت عن مراقبة منافذ السلاح حيث كانت تفعل ذلك منذ ما يزيد على ثلاثين شهرًا وعد ذلك مكسبًا للبوسنيين، مع أن هذه المنافذ لا تزال محاصرة عن طريق قوى أوروبية أخرى حلت محل القوات الأمريكية وبالطبع تنفيذًا لقرارات هيئة الأمم، والمسلمون في(بيهاتش) شمال غرب البوسنة يقتلون هذه الأيام مع أن هيئة الأمم قد أعلنتها منطقة آمنة وحذرت من التعرض لها إلا أنها في الواقع العملي لم تعمل شيئًا رغم حركات القصف المحدودة للقوات الصربية والتي قام بها حلف الأطلسي ويهدد بالقيام بها والتي يبدو أن نتائجها محدودة وأنها

لذر الرماد في العيون فما كان الأطلسي الأوربي ليضرب الصرب الأوربيين.

ورغم أن الولايات المتحدة كانت تريد عملاً أقوى ضد الصرب لدوافع مختلفة ألا أن خططها بهذا الصدد جوبهت برفض أوروبي، وما وافق عليه منها أخيرًا حيث أنه منذ قرابة أسبوع وهم يحددون للصرب المواقع التي يريدون ضربها واخذوا إذنًا من الأمم المتحدة بذلك التحديد مع التهديد حتى تمكن الصرب من إخلائها فكان الضرب في الهواء الفارغ كما قالت بعض التقارير وهذا ما أراده الأطلسي وهيئة الأمم المتحدة وروسيا وكل من يؤيد الصرب ظاهرًا أو باطنا ومع كل هذا فإن المسلمين في البوسنة لا يزالون ضعفاء وعاجزون عن رد العدوان عليهم والسبب الرئيس أنهم منعوا من السلاح في الوقت الذي سمح لغيرهم عمليًا باقتنائه من جهات عديدة فأين العدل والإنصاف في عالم اليوم، وماذا يراد من المسلمين أن يصدقوا بعد ذلك من دعاوى العدل وحقوق الإنسان والعالم الجديد الذي تدعوا له أوروبا والغرب وهم يشاهدون ما يجري على إخوانهم البوسنيين أيصدقون ما يدور، أم أن رؤوسهم تدور بين ما يرون وما يسمعون، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

السجن في أمريكا*

السجن في أمريكا يعد من أقصي العقوبات التي يواجهها المجرمون عند الحكم عليهم، وقد يقضي المجرم عشرين سنة أو أكثر بسبب حادثة ما وفي كثير من الأحيان لا يفرق في الحكم بين الأمر البسيط والأمر الكبير فقد تجد من تهرب من دفع قليل من الضرائب في السجن مع من قتل مجموعة من الناس.

وإدارة السجون في أمريكا تتبع لوزارة العدل وترتبط مباشرة بالقضاء، ونتيجة لكثرة الجرائم والجنح فقد أصبحت السجون الأمريكية تضيق بالناس، وقد حاولت الحكومة الفدرالية وحكومات الولايات توسيع السجون والتخطيط لذلك ومع هذا فلا تزال تضيق بالسجناء الذين تزيد أعدادهم يومًا بعد يوم.

وقد دُعيت لزيارة أحد سجون لوس أنجلوس الفدرالية لإلقاء خطبة الجمعة بالسجناء المسلمين والالتقاء بهم وإعطائهم درسًا، فتسنت لي معرفة بعض الأمور داخل تلك السجون ومنها.

أن إدارات السجون تهتم بوجود مرشد ديني لجميع السجناء على اختلاف دياناتهم، فللنصارى قسيس ولليهود حبر وتجعل للمسلمين

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

إمام تدفع رواتبهم جميعًا من إدارة السجن لما ترى من أثر ذلك في تخفيف حدة الشر لديهم.

ومن العجيب أن السجن كأنه معسكر أو حي مستقل فيه كافة الخدمات فما أن تدخل السجن حتى ترى الورود والأشجار، ترى السجناء يعملون في التنظيف والتجهيز ويأخذون على ذلك مقابلاً من إدارة السجن، كما أن هناك أنشطة مختلفة تشغل السجناء وتقضي على الفراغ لديهم وتعود عليهم بالنفع المادي والعلمي، وتؤهلهم ليعودوا عودة طبيعية للمجتمع عند خروجهم، فهناك فصول تعليمية يدرس فيها السجناء المستويات الثانوية، بل والجامعية أحيانًا، تحت إشراف بعض الجامعات، ويدفع السجين مقابل تلك الدراسة مما يكسبه أثناء تواجده في السجن حيث توجد بعض الورش والمصانع الملحقة بالسجون، والتي يقوم السجناء بالعمل فيها بأجر ثابت ومعقول، وقد رأيت بعض السجناء الذين يعملون في هذه المصانع، وذكروا لي أنهم يأخذون كل شهر مبلغًا ينفقون منه على أنفسهم ويوفرون منه لينفقوا على أولادهم، ويلاحظ في السجن نوع من التمييز والطبقية المرتبطة بنوع الجريمة التي ارتكبها الشخص فقد يكون الشخص الخطير في غرفة منفردة، وقد يشاركه فيها شخص آخر، كما قد يكون مجموعة من السجناء في صالة خاصة بهم ولا يسمح لهم بالتجول في

ساحات السجن، وحينما يكون سلوك السجين جيدًا لفترة طويلة فإن ذلك يؤدي إلى تخفيف فترة السجن في كثير من الأحيان.

والدخول والخروج من السجن للزائرين يحتاج إلى إجراءات صعبة تجعل من المستحيل وقوع خطأ بين الزائرين والسجناء.

ويوجد في السجن عدد كبير ممن تلقوا تربية وتعليمًا عاليًا من الأطباء والمحامين والمعلمين ورجال الشرطة والجيش والموظفين الحكوميين وغيرهم ممن أخلوا بأعمالهم أو تهربوا عن دفع الضرائب، أو غير ذلك الأمور التي تُعد مخالفة للقانون أو جرائم إدارية، ومن الملاحظ أن هناك نموًا مطردًا في أمريكا للجريمة وبالتالي أن أجهزة الأمن ونظام العدل يعاني من ضغط متزايد ومستمر في العمل ويتبع ذلك زيادة في عدد السجناء، وعلى سبيل المثال فإن السجن الذي قمت بزيارته صمم لأربعمائة سجين، ومع ذلك فقد وضع فيه ما يزيد على ألف وثلاثمائة سجين ومعظم السجون في أمريكا تعاني من مثل ذلك، وقد رأيت كثيرًا من السجناء يتمنون عقوبة التعزير بالجلد الموجودة في الشريعة الإسلامية على السجن فترة طويلة أو قصيرة.

وللسجن في أمريكا دور كبير في محاولة إصلاح المجرمين وبالدرجة الأولى عن طريق الدين وتعاليمه، ولي لقاء آخر معكم بإذن الله، والله المستعان.

التزوير العلمي في مؤتمر الإسكان*

يعقد في القاهرة المؤتمر الدولي للإسكان والذي ترعاه الأمم المتحدة في الفترة من ٥ إلى ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م، وظاهر المؤتمر دراسة مشاكل السكان والإسكان وما يرتبط بذلك في مختلف دول ومجتمعات العالم، وكان المتوقع لهذا المؤتمر أن يكون جادًا في دراسة وحلول الظواهر والمشكلات المرتبطة بهذه القضية من وجهة نظر علمية سليمة ومحايدة، ومع أن المؤتمر لم تصدر قراراته بعد إلا أن مشروع القرارات قد بحثت وأعدت من قبل لجان خاصة، وكانت سببًا في إثارة موجة من السخط لكل من يهتمون بأمر القيم والأخلاق على مستوى العالم فكل أصحاب الديانات السماوية وعلى رأسهم المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم قد استغربوا مشروعات هذا المؤتمر واحتجوا عليها بشدة.

ومن المعروف أن المؤتمر طرح مشروعاته بطريقة تناسب الواقع الموجود في الغرب بغض النظر عن المجتمعات الأخرى، بل وبغض النظر عن وجهات نظر متعددة ومخالفة لذلك في بلاد الغرب نفسه.

---

* نُشر هذا المقال **بجريدة البلاد**، الثلاثاء ١ ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٩٩٤م، العدد(١١٠١١).

من ضمن القضايا المطروحة للبحث قضية الإجهاض وإقرارها والحقوق المرتبطة بها، وهذه القضية تعد في نظر الديانات السماوية قضية قتل وجريمة دينية وأخلاقية، وهي لم تحسم بعد حتى في أكبر دول العالم الغربي وأكثرها تحررًا وهي أمريكا، التي لا زالت تبحث هذه القضية ولم يستطع الرئيس الأمريكي نفسه أن يظهر توجهه حولها مع أن القضية مطروحة للنقاش إذ أن المعارضين للإجهاض في أمريكا يشكلون قوة كبيرة لا يستهان بها، وهي من ناحية القانون الفدرالي الأمريكي قضية غير محسومة، ولذلك فإن كثيرًا من الأمريكيين قد احتجوا على الرئيس كلينتون لسماحه لنائبه بافتتاح مؤتمر هيئة الأمم للسكان في القاهرة.

وقضية الإجهاض في أمريكا وهي أحد قضايا المؤتمر لم تتوقف عند حد معين بل تطورت إلى موجة من العنف والمظاهرات والاغتيالات فقد تم خلال الأسابيع الماضية تصفية وقتل عدد من الأطباء في أمريكا الذين اشتهروا بإجراء الإجهاض في ولايات تجيز ذلك من الناحية القانونية.

وقضية أخرى يبحثها المؤتمر وهي قضية الأسرة بكل أشكالها، والمؤتمر يقر في مشروعه كل أنواع الارتباط الجنسي الصحيح والمريض فهو يقر في مشروعه أنواع الارتباط غير الشرعي

دون زواج وما ينتج عن ذلك من ـ أولاد حرام ـ كما معروف عند كل أصحاب الديانات، أما في الواقع الموجود حاليًا في الغرب فهو واقع يعيشونه وإن لم يكن له أصل قانوني أو ديني عندهم، ولذلك فقد قيست كل المجتمعات البشرية في هذا المؤتمر بالمقياس الواقعي الغربي السائد هناك، ورغم أن في تلك المجتمعات نفسها من يعترض على ذلك الترابط الحيواني الموجود فإن أهل هذه النوعية من الترابط يحاولون بإسم هيئة الأمم المتحدة وتحت مظلتها إن يوجدوا بُعدًا لهم على مستوى العالم، وبالتالي فإن كل من يحتج مستقبلاً على هذه النوعية من الترابط فسيعتبر في نظر البعض معترضًا على مقررات هيئة الأمم المتحدة وخصوصًا في البلدان الضعيفة والفقيرة، أما البلدان الغربية فليس للأمم المتحدة فيها القوة التي توجد في غيرها.

إن من ضمن مشروعات قرارات المؤتمر إقرار العلاقات الجنسية بكل إشكالها إذا كانت آمنة من الناحية العضوية، والذي دعا لهذا كما يحلل بعض الباحثين هو الحرص على عدم انتشار الأمراض الجنسية مثل الأيدز وغيره، وغريب هذا الأمر فعدم انتشار الأيدز وغيره من الأمراض الجنسية البشرية لا يتم إلا عن طريق العفة والاتصال الجنسي الشرعي فقط، أما التأكد من سلامة الأعضاء بغض النظر عن نوعية الاتصال فهذا أحد أسباب

المرض، فمجرد الاتصال الجنسي غير المشروع ينتج أمراضًا جنسية بل ونفسية واجتماعية لا يعلمها إلا الله الذي حرم هذا الأمر وهو خالق البشر والمشرع لهم والأعلم بما يصلح لهم، وليس باحثوا الأمم المتحدة الذين يحاولون نشر الإباحية وإقرارها باسم العلم أو حتى مجرد بحثها كما يقولون بإسم الأمم المتحدة، فأين قواعد البحث العلمي الصحيح وهل يظنون أنهم يتحدثون عن ورشة أو آلة اخترعوها؟.

ومهما ذكر البعض أنه سيكون هناك تحفظات على هذا الأمر فأن طريقة البحث في حد ذاتها تعد تزويرًا علميًا ومبررًا لأصحاب هذا الاتجاه مستقبلاً والذين سيركزون على هذه القضايا مستقبلاً.

دعا المؤتمر إلى إيجاد برامج توعية جنسية في المدارس وهذا الأمر مطبق في المدارس الغربية فقط ونتائجه حتى الآن يمكن تلخيصها من وجهة نظري في المساعدة على انتشار الجنس والعلاقات الجنسية بين الطلاب في المدارس بعضهم مع بعض في أماكن مختلفة من المدرسة بطريقة حيوانية حتى أن الآباء في المدارس الغربية باتوا يشكون من هذا الأمر وخطورته على أبنائهم من الناحية الصحية وانتشار الأمراض فيما بينهم، والأيدز أحدهما، أما الناحية الأخلاقية والدينية فليست هامة إلى ذلك

الحد، أما كان الأجدر بالأمم المتحدة وباحثوها أن يعوا ويفهموا هذه المشكلة ومعروف أن مقر هيئة الأمم المتحدة نيويورك وهي من أكبر المدن الأمريكية التي تعاني من مشكلة الجنس في المدارس وما ينتج عنها، أم أن بعض أولئك الباحثين يريدون أن يعمموا على الناس ما وقع فيه أبنائهم من مشكلات؟.

كما أن البرنامج الإعلامي المقترح لهذا الأمر يروج لوقاية واستخدام الواقيات في العلاقة الجنسية، بغض النظر عن هذه العلاقات وبغض النظر عن الأخلاقيات الإنسانية والقيم الدينية التي لا تحتل أي مكانة في نظر الأمم المتحدة.

إن مشاكل السكان ومشاكل الصحة الجنسية لا تحل بهذه الطريقة على مستوى عالمي، كما أن أنماط الحياة الجنسية في الغرب لا يمكن أن تفرض على المجتمعات البشرية في العالم أجمع بإسم الأمم المتحدة، وهذا التزوير العلمي لا يمكن أن يستمر، ومهما كانت قوة الواقفين خلفه فإن كل القيم والأخلاق والأعراف ضد هذا الاتجاه حتى في المجتمعات الغربية نفسها، والتي لا تخلو في كثير من الأحيان من دعاة للأخلاق والقيم.

أما نحن هنا في المملكة فنحمد الله تعالى على أن هيأ لنا من العلماء الأفاضل من بينوا الحقيقة في هذا الأمر وعلى رأس هؤلاء

سماحة الوالد مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (حفظه الله ووفقه)، * وكذلك هيئة كبار العلماء في بيانها الموفق.

كما أن موقف المملكة الرسمي بعد حضور المؤتمر يعد موقفًا مشرفًا نعتز به جميعًا وهي بلد الحرمين وقلب العالم الإسلامي النابض والتي يقدر لها المخلصون هذا الموقف، كما لا ننسى موقف جامعة الأزهر في مصر، التي كانت من أوائل من نبه لهذا الخطر رغم أن لديها المركز الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية والمدعوم من هيئة الأمم المتحدة، ومع ذلك فكان لهذه الجامعة الإسلامية العريقة موقفها الواضح من مشروع قرارات هذا المؤتمر رغم علاقتها المباشرة به.

وختامًا فإن قضية السكان في العالم تعد إشكالية قائمة وتحتاج إلى بحث بجدية لا إلى تعزيز الإباحية، والله المستعان وعليه التكلان، وهو خالق بني الإنسان وقد شرع لهم الإحسان والبعد عن الرزيلة والشيطان.

❁❁❁

* كتب هذا المقال في حياة الشيخ عبد العزيز بن باز(رحمه الله).

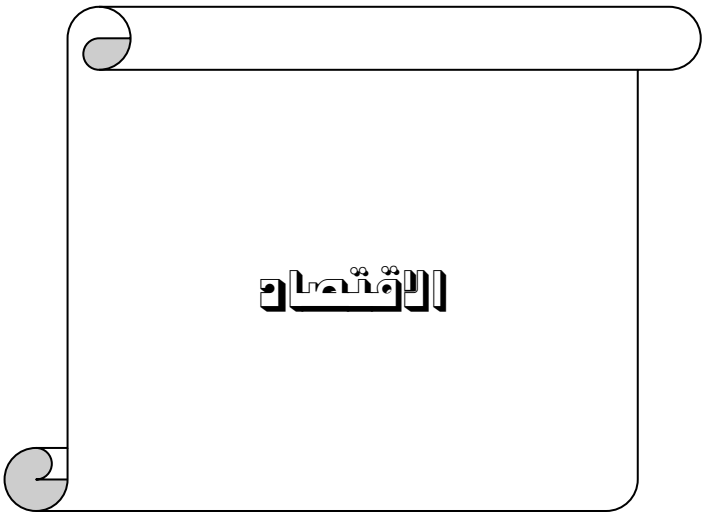
الاقتصاد

الاقتصاد والسيطرة العالمية ١ـ٢*

التنافس الاقتصادي العالمي قوي وشديد منذ أن ظهرت النظم العالمية المعاصرة، وقد شهد العالم في القرنين الماضيين موجة من الاحتلال والاستعمار من قبل الدول القوية والأوروبية منها خاصة للعديد من البلدان والأقوام في مختلف أنحاء العالم، وكان المال والاقتصاد من أهم دوافع تلك الدول الاستعمارية، والتي نال العالم الإسلامي والعربي منها نصيبًا كبيرًا، خصوصًا بعد سقوط الدولة العثمانية، ولا يزال الصراع الاقتصادي قائم على أشده في العالم، ويذهب ضحية هذا الصراع العديد من الدول والمجتمعات التي تقع فريسة للقوى الاقتصادية العالمية، وقد شهد العالم في الأربعين سنة الماضية صراعًا قويًا بين نظامين اقتصاديين عالميين هما: النظام الاقتصادي الرأسمالي، والنظام الاقتصادي الاشتراكي أو الشيوعي وفروعها المختلفة، وكما هو معروف فإن الولايات المتحدة كانت تتزعم النظام الاقتصادي الرأسمالي، والاتحاد السوفيتي سابقًا كان يتزعم النظام الاشتراكي، مع

* نُشر هذا المقال **بجريدة البلاد**، الثلاثاء ٢٦ محرم ١٤١٥هـ الموافق ٥ يوليو ١٩٩٤م، العدد(١٠٩٤٨).

وجود بلدان مختلفة بعضها يدور في فلك هذا وبعضها يدور في فلك الآخر، وقد لعب الصمود الاقتصادي في النظام الرأسمالي دورًا كبيرًا في هزيمة النظام الاشتراكي سياسيًا وإعلاميًا ونفسيًا، رغم تفوق المجموعة الاشتراكية من الناحية العسكرية بل في أحيان كثيرة من الناحية الثقافية والتربوية على المجموعة الرأسمالية.

وبلدان العالم المختلفة اليوم تتعرض لحرب اقتصادية شديدة من قبل الدول الأقوى اقتصاديًا، والتي تحاول فرض سيادتها الاقتصادية، ويتبعها في كثير من الأحيان السيطرة السياسية ولكن بطرق قانونية وعن طريق المنافسة الشريفة في الظاهر إذا كانت تضمن مصلحة تلك القوى الاقتصادية الكبرى، ولقد دخل العالم نتيجة هذا الصراع الخفي في كثير من الأحيان، والظاهر في أحيان كثيرة، في مرحلة خطيرة من الاضطراب الاقتصادي وعدم الاستقرار، وتغير الأحوال في العديد من المجتمعات والبلدان، وأصبحت العديد من الدول تسعى جاهدة لتسخير كل قدراتها لتسديد ما ترتب عليها من ديون ومن فوائد تلك الديون، وقد قرأت قبل أيام تقريرًا ماليًا عن أحد الدول العربية الإفريقية الكبرى التي تعاني من أزمة سياسية خانقة ومن أزمة اقتصادية تعصرها، أفاد هذا التقرير أن هذه الدولة العربية عليها من فوائد الديون (أي

ربا الديون) دون أصولها ما يعادل سنويًا تسعة بلايين دولار، وأن هذه الدولة وهي دولة بترولية تبلغ مبيعاتها من البترول والغاز قرابة ثمانية بلايين دولار سنويًا وبالتالي فإن جميع إنتاج هذه الدولة من البترول لا يغطي أرباح وفوائد القروض التي عليها وبالتالي فإنها تضغط على شعبها من أجل الحصول على بليون آخر لتسديد تلك الفوائد وهذه الدولة ولا شك أذهبت بترولها هدرًا، وأرهقت نفسها وأصبح وضعها ضعيفًا ليس على المستوى العالمي، بل على المستوى المحلي، حيث تعاقب عليها خلال أشهر قليلة عدة حكومات كلها تعلن عجزها عن تسيير الأمور في ذلك البلد نتيجة تلك الديون والمشاكل الأخرى التي وقعت فيها.

وقد لعب الحصار العربي الاقتصادي لإسرائيل، فيما عرف بالمقاطعة العربية لإسرائيل دورًا كبيرًا في عدم دخول إسرائيل اقتصاديًا إلى البلاد العربية، ومعروف ما في البلاد العربية من مجالات اقتصادية، يمكن أن تعيش عليها إسرائيل، فيما لو تمكنت من تحطيم ذلك الحصار الاقتصادي أو إلغائه بأي وسيلة، سواء عن طريق المفاوضات أو عن طريق دعم الدول الكبرى الواقفة مع إسرائيل، ولا تزال إسرائيل تنتظر اليوم الذي تنطلق فيه داخل البلاد العربية لتغذي كيانها بموارد جديدة تغطي فيه ما تطمح إليه من بقاء وامتداد، وقد تعرضت الدول العربية النفطية

في الخليج وغيره إلى العديد من المشكلات التي تسببت في استنزاف الكثير من أموالها، وبالتالي أثرت وستؤثر على مستوى التقدم فيها، ونحن نرى الدول الكبرى اقتصاديًا تحاول أن تسيطر على أي موارد في الدول الأخرى بأرخص الأسعار، وتبيعهم ما تشاء من سلع قد تكون أحيانًا في الأصل من الدول الضعيفة بأسعار عالية، وبالتالي تستطيع امتصاص الأموال المتجمعة في أي من الدول الصغرى، وفي هذا الصدد لعلنا نعرف أن أسعار البترول قد تحسنت إلى حد ما في الأسبوع الماضي، وبالتالي فرحت العديد من الدول المصدرة للنفط، ولكن الفرحة لم تدم إذ سرعان ما انخفض سعر الدولار في الوقت نفسه، وذهب الدولار بانخفاضه بما كان يؤمله المصدرون للبترول من تحسن في الدخل، وكان يؤمله المصدرون للبترول من تحسن في الأسعار، وبالطبع فإن هذا على ما يبدو ليس عفويًا، ولي وقفة أخرى مع هذا الموضوع في الأسبوع القادم بإذن الله، والله المستعان وعليه التكلان.

الاقتصاد والسيطرة العالمية ٢ـ٢*

تحدثت في مقال الأسبوع الماضي عن ما شهده العالم من تنافس اقتصادي شديد، وأن المجال الاقتصادي هو من أهم مجالات السيطرة العالمية في الوقت الحاضر، وحديث اليوم موصول بذاك الحديث، فما لا شك فيه أن الدول العظمى عسكريًا وخصوصًا دول المعسكر الغربي تشكل القوة الاقتصادية في العالم، ومن خلال قوتها العسكرية والاقتصادية في آن واحد تتحكم بكثير من القوى الأضعف منها في العالم. وبالتالي فإن الاقتصاد هو أحد أهم مجالات الهيمنة على العالم، أو على دول محددة بذاتها، وقد حاولت بعض الدول التي تعرضت للهزيمة والانكسار في الحرب العالمية الثانية في المجال العسكري التعويض والاجتهاد في مجال الاقتصاد لكي تعود إليها القوة من الناحية الاقتصادية، ومن هذه الدول ألمانيا واليابان، التي برزت في السنوات الأخيرة أكثر من غيرها في هذا المجال، وتمكنت اليابان من فرض نفسها كقوة اقتصادية لا منافس لها على مستوى العالم، حتى أن أكبر دول العالم اقتصاديًا وهي الولايات المتحدة الأمريكية، تضايقت منها

* نُشر هذا المقال **بجريدة البلاد**، الثلاثاء ٣ صفر ١٤١٥هـ الموافق ١٢ يوليو ١٩٩٤م، العدد(١٠٩٤٨).

كثيرًا ليس في الأسواق العالمية بل في الأسواق الأمريكية نفسها، حيث أصبحت السلع اليابانية تكتسح الأسواق الأمريكية وخصوصًا الصناعات الدقيقة كالإلكترونيات وصناعة السيارات وغير ذلك، وباتت الصناعات الأمريكية لا تستطيع الوقوف أمام المنافسة اليابانية في كثير من الأحيان، وهذا ما دعا حكومة الولايات المتحدة إلى التضييق القانوني على السلع اليابانية ومحاولة منافستها عن طريق تخفيض الدولار، ورفع أسعار الين الياباني وعمل الإجراءات المختلفة التي تؤدي إلى انخفاض الصادرات اليابانية، ومع كل ذلك فلا تزال اليابان تشكل منافسة قوية للولايات المتحدة الأمريكية، وتعد البنوك اليابانية من أقوى بنوك العالم من ناحية المركز المالي والأرصدة، حيث أن الحكومة الأمريكية اضطرت في مناسبات عدة إلى الاقتراض من البنوك اليابانية، وحينما يحل سداد تلك الديون فإن اليابانيين يرضون بشراء العقارات والمصانع وبعض الجامعات في أمريكا ليحولوها مرة أخرى لخدمة اقتصاد اليابان ومن داخل أمريكا نفسها، وقد أثار هذا الأمر بعض المفكرين الأمريكيين الذين أصدر بعضهم كتبًا مختلفة حول هذا الموضوع، حذروا فيها من سيطرة اليابان المستقبلية على أمريكا عن طريق الاقتصاد وحسب القانون الأمريكي نفسه، لم تكتف اليابان بأن طورت نفسها إقتصاديًا،

بل مدت يدها إلى العديد من الدول الآسيوية كأندونيسيا وكوريا وماليزيا وغيرها، لكي تقوم فيها حركة صناعية جادة تغرق بها الأسواق الأمريكية والعالمية في حالة التضييق على اليابان، والواضح من الصراع الاقتصادي بين الولايات المتحدة واليابان أن الولايات المتحدة تبذل كل طاقاتها لوقف التقدم الياباني في هذا المجال عن طريق المباحثات، وعن طريق الضغوط الدبلوماسية والتكتلات الأوروبية أو غيرها، ومع كل هذا فإن التفوق الياباني في هذا المجال واضح تمامًا خصوصًا أن هناك خلط للأوراق بين اليابان وأمريكا، فالعديد من الشركات اليابانية ممولة برؤوس أموال أمريكية وبعض الشركات الأمريكية برؤوس أموال يابانية، وهناك نوع من الترابط بين الشركات اليابانية وأصحاب المال والمصالح الأمريكية، وبالتالي فإن ذلك يؤثر في كثير من الأحيان على القرار الأمريكي في هذا الجانب.

وفي مجال آخر فإن الدول الاقتصادية الكبرى كانت تضغط على الدول الأقل منها من خلال اتفاقية(القات) الاقتصادية المشهورة للتوقيع على التزامات باسم حماية التجارة والاقتصاد الحر وإزالة العراقيل التجارية إلى غير ذلك من الشعارات البراقة، ثم ما تلاه من منظمة التجارة العالمية وهذه الاتفاقيات ستكون نهايتها إتاحة الفرصة الأكبر في مجال المنافسة للشركات العالمية

الكبرى، وهي الأقدر على المنافسة من غيرها، وبالتالي فإن العديد من الدول الصغرى لم تتمكن من حماية منتجاتها المحلية والتي ستتحطم اقتصادياتها في كثير من الأحيان أمام المنافسة الأقوى، وستكون هذه الدول ممنوعة بموجب اتفاقيات دولية تنبثق عن(القات) وما يرتبط بها من إيجاد أي حماية نظامية أو ضريبية لمنتجاتها، كما أنها في الوقت نفسه لن تكون قادرة على الوصول إلى أسواق الدول الكبرى، وبالتالي فإن الحماية وحرية التجارة المزعومة أصبحت في صالح الدول الأقدر والأقوى اقتصاديًا.

أسعار البترول والقيمة الشرائية*

لست متخصصًا في الاقتصاد ولا من الذين يجيدون العوم فيه، ولكنني أزعم أني متابع للأحداث إلى حد ما، وقد لفت نظري هذه الأيام ما يلفت نظر جميع الناس مما في الأخبار والتقارير الاقتصادية عن تذبذب ملموس في أسعار البترول له أسبابه المختلفة، ومما لا شك فيه أن المستهلكين للبترول هم المستفيدون من أسعاره الحالية، وبالتالي فهم المتهمين بالتسبب في هذا السعر المتدني له، ولا شك أن بائعي البترول أعني الدول البترولية وعلى رأسها دول الخليج ومن يشاركها في تصدير البترول هم أول المتضررين من نزول الأسعار، والمتتبع لتاريخ أسعار البترول خلال العشرين سنة الماضية يجد دون أي تردد أن أسعار هذه الأيام تعد أدنى الأسعار التي شهدها البترول خلال تلك الحقبة، ويقول البعض أن البترول قد وصل سابقًا إلى سعر أدنى من المعدلات التي هي عليه الآن، وهذا بالطبع صحيح من الناحية الرقمية الشكلية، أما إذا نظرنا للقيمة الشرائية للدولار وهو مقياس أسعار البترول فإننا نجد ولا شك أن الأسعار التي هو عليها الآن

* نُشر هذا المقال **بجريدة البلاد**، الثلاثاء ٢٢ رجب ١٤١٤هـ الموافق ٤يناير ١٩٩٤م، العدد(١٠٧٧٣).

تعد الأدنى مقارنة بغيرها، فالسلع التي كانت تستورد على سبيل المثال في النصف الأول من السبعينات الميلادي هي الآن تباع بثلاثة أضعاف قيمتها تلك الأيام في وقت كان فيه سعر البترول قد تجاوز العشرين دولارًا، وبالتالي فإن سعره الافتراضي هذه الأيام يتجاوز الخمسين دولارًا ليصل المعدل الذي كان عليه في تلك الفترة، وهذا الفرق النظري لا شك يؤثر بدرجة كبيرة على اقتصاديات الدول المصدرة له، أما المستفيد الأول من ذلك فهو المستهلك الغربي بالدرجة الأولى، إضافة إلى الشركات الغربية التي تتحكم وتسيطر على السوق الدولية للبترول، عن طريق خبرتها بالأسواق المالية وقدرتها على إصدار الإشاعات والأخبار التي تؤدي إلى تخفيض أسعار البترول، وتكتلاتها المختلفة في عمليات الشراء وقدرتها على المفاوضة والمرواغة، بل وقدرتها على خداع بعض الدول المنتجة للبترول للإيقاع بينها، ومحاولة الإضرار بمنظمة الدول المصدرة للبترول قدر الاستطاعة، بما يخدم أهداف تلك الشركات والدول التي تقف ورائها، ولا شك أن جريمة صدَّام في احتلال الكويت وما جرى بعد ذلك من أحداث في الخليج قد خدمت بطرق مباشرة وغير مباشرة ما يرغبه المستهلك البترولي، فهو قدم لهم وبكل غباء أكبر خدمة يتوقعونها فيما يتعلق بأسعار النفط رغم تظاهره بغير ذلك، ولا شك أن الأوضاع السائدة حاليًا لأسعار البترول تؤكد ما ذهبنا إليه.

والأسعار في هذه الأيام متردية إلى مستوى متدني، وهناك قلق يراود المنتجين هذه الأيام باستمرار قد يؤدي إلى مزيد من الانخفاض في أسعار البترول، وهو أن تقرر الأمم المتحدة السماح للعراق بتصدير البترول، وبالطبع دون تنسيق مع بقية الدول المصدرة مما يؤدي إلى زيادة الفائض في السوق البترولية، وبالتالي يؤدي هذا الأمر إلى استمرار تدني الأسعار والقضاء على كل المحاولات الجادة لرفعه، وهذا الأمر متوقع في أي لحظة من الأمم المتحدة، وبالطبع بتحريك من المستفيدين من نزول أسعار البترول، ولذلك فإن القضية تعد مقلقة للمنتجين، وهي متوقعة في أي لحظة ويجب أن يؤخذ لها الحساب، ولا شك أن الدول المنتجة هي المتضررة من ما يمكن أن يجري، وأنها تبذل الكثير من الجهد لرفع الأسعار إلى الحد المعقول والذي ليس فيه ظُلم للمنتج ولا المستهلك، ولكن الوضع يتطلب المزيد من هذه الجهود والمزيد من التنسيق والتعاون، والله المستعان.

القوى العالمية

شيخوخة الأمم المتحدة*

(سيربرينيتسا) اسم يحمل الأسى يتردد هذه الأيام في مدينة تغتال وشعب يقتل ويباد، وأمة تقهر وتهان على مرأى ومسمع من هيئة الأمم المتحدة وقواتها المزعومة، التي تتفرج على ما يجري هذه الأيام.

تم دخول الصرب لمدينة(سيربرينيتسا) وهي ضمن المناطق المحمية من قبل قوات الأمم المتحدة، والتي تعهدت بحفظها بالقوة وأعدت لذلك ملفات وخرائط خاصة ودراسات استمرت أشهر عديدة والمدينة محاصرة من الصرب حين اتخذت الأمم المتحدة قرارها بتحديد هذه المنطقة ضمن المناطق الآمنة في البوسنة وحشدت حولها بعض قواتها ويبدو أن الأمم المتحدة لا تملك التصرف والقوة المعنوية أو المادية لفرض قرارها على الصرب أو هي لا تريد ذلك أو ربما وهو الأقرب إن الأمم المتحدة قد شاخت وبلغت سن اليأس بعد الاحتفالات التي مرت قبل أيام بمناسبة مرور خمسين سنة على تأسيسها كأكبر مؤسسة عالمية تفصل في النزاعات والقضايا الدولية وتستطيع تحريك الدول الكبرى

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

لصالح السلام العالمي، كما كان يظهر للناس أثناء العديد من المشاكل العالمية التي حصلت في السنوات السابقة وراعية للنظام العالمي الجديد ـ كما يقال ـ فإذا بها تعجز عن فعل شيء أمام مأساة المسلمين في البوسنة أو هي لم ترد أن تحمي العجائز ولا الشيوخ ولا الأطفال من سيوف وبنادق الصرب، والمشكلة أن هيئة الأمم المتحدة مع ضعفها وعجزها فإنها قوية في تنفيذ قرار منع السلاح عن المسلمين في البوسنة، وبالتالي فإن المسلمين يقتلون ويشردون دون أي سبب إلا أنهم مسلمون، والأمم المتحدة لا تفعل لهم شيئًا لأنهم مسلمون، إن الازدواجية التي تتعامل بها الأمم المتحدة مع أحداث البوسنة أثبتت أن النظام العالمي المزعوم ربما هو لا يخص المسلمين ولا يضمن لهم حقوق ولا يتيح لهم مجرد الدفاع عن أنفسهم فالنظام العالمي على ما يبدو لحماية المصالح الغربية فقط وتحريك الأمم المتحدة عند الحاجة لإعطاء غطاء قانوني وحماية ماء وجوه الدول الغربية عند الحاجة، إن سكوت الغرب أمام ما يجري في البوسنة عمومًا وفي(سيربرينيتسا) خصوصًا هذه الأيام ليؤكد إن النظام العالمي وهيئة الأمم المتحدة لا يتعاملون مع شعوب العالم بالمساواة فشعب مدينة كاملة بل وبلد أوربي كامل يغتال ولا يتحرك أحد للدفاع عنهم ليس هذا فحسب بل يمنع عنهم السلاح الذي يدافعون به عن أنفسهم بغطاء قانوني من الأمم

المتحدة مع أنهم شعب أوربي أحمر وأصوله أوروبية لكن المشكلة أنهم مسلمون.

لقد لجأت الأمم المتحدة بمناسبة إغتيال(سيربرينيتسا) إلى إصدار قرار احتجاج ونحن نعلم إن الاحتجاجات كانت من تخصص العرب مع إسرائيل حينما تقصف في لبنان أو تقتل في الخليل أو تهدم في الأقصى فلماذا تحولت الأمم المتحدة إلى الأسلوب العربي هذه المرة.

إن ما يزيد عن عشرين ألف لاجئ من النساء والأطفال والعجزة يخرجون في يوم واحد ، وآلاف الرجال يؤسرون ولا يعلم مصيرهم أو يقتلون أمام زوجاتهن وأطفالهم بالذبح كما تذبح الخراف قد دفع الأمم المتحدة إلى مزيد من الدراسة لأوضاع البوسنة ولا يزالون يدرسون، كما دفعها وبكل إصرار إلى دراسة توصيل المساعدات إلى المنكوبين حتى تظهر للمسلمين وكأنها تساعد ، إن الموت واحد والقتل واحد سواء كان الإنسان جائعًا أو شبعانًا لماذا تملاؤون بطونهم إن كنتم تسلمونهم للقتل على يد الصرب وتمنعون عنهم السلاح الذي يدافعون به عن أنفسهم في وقت يصل فيه السلاح للصرب من العديد من دول أوروبا الشرقية وعلى رأسها روسيا التي هي عضو دائم في مجلس الأمن الدولي.

إن الأدميرال الصربي(رابيتش) وهو أحد من حكمت عليهم محكمة العدل الدولية ومطلوب للعادلة الدولية أعلن أنه سيطرد كل السكان المسلمين من المدينة التي وقعت في قبضته ونفذ ذلك وكان نصه كما هو واضح على المسلمين ـ حرب دينية ـ فعجزت الأمم المتحدة أن تفعل شيئًا فلا تزال تدرس الوضع حتى الآن والناس هناك يموتون قهرًا وجوعًا في آن واحد ولا يزال بطرس غالي يدرس الوضع لأنهم مسلمون فهل نعي نحن المسلمين؟.

إن الدور اليوم على مسلمي البوسنة ومسلمي الشيشان وقد يكون الدور غدًا على غيرهم إن لم نفعل شيئًا ، والله المستعان.

السلطة الأمريكية الجديدة*

الولايات المتحدة الأمريكية أكبر دولة ديمقراطية في العالم تتكون من(٥١) ولاية، لكل ولاية نظامها الخاص وحاكمها ودخلها، وتشترك الولايات مع بعضها البعض في الحكومة الفدرالية العامة والتي تتحدد سلطاتها بأمور معينة ومشتركة مثل الدفاع والعلاقات الخارجية وقوانين الهجرة وبعض الأمور الأخرى وتتكون السلطة الفدرالية العامة في الولايات المتحدة من السلطة القضائية، والسلطة التشريعية والسلطة التنفيذية وهي الحكومة الفدرالية التي على قمتها رئيس الولايات المتحدة الذي يتم انتخابه كل أربع سنوات لفترة رئاسية واحدة ويمكن أن يعاد انتخابه مرة أخرى لفترة ثانية، لا تزيد عن فترتين رئاستين بموجب الدستور الأمريكي، ويوجد حزبين رئيسيين يتنافسان على مقعد الرئاسة في كل انتخابات وهما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري، وتتداول السلطة بينهما حسب نجاح مرشح كل حزب في الحصول على أصوات الناخبين، وقد كان الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش ينتمي للحزب الجمهوري أما الرئيس الأمريكي

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

الحالي بيل كلينتون فينتمي للحزب الديمقراطي، وبالتالي فإن الحزب الجمهوري يعد خاسرًا في الانتخابات الرئاسية، وفي الوقت الذي تم انتخاب الرئيس كلينتون للرئاسة وحتى الأسبوع الماضي يتمتع كذلك بتحكمه بمجلسي الشيوخ والكونجرس الأمريكيين، حيث إن عدد المنتمين للحزب الديمقراطي كان أكثر من عدد المنتمين للحزب الجمهوري، وبالتالي فإن أغلبية السلطة التشريعية كانت تنتمي لنفس حزب الرئيس الأمريكي وهذا يعني وجود نوع من الوئام والتجانس بين السلطتين التشريعية والتنفيذية خلال الفترة الماضية من حكم الرئيس كلينتون.

وبالنظر في نتائج الانتخابات الأخيرة التي جرت في الأسبوع الماضي نجد أن هذا الوئام والتجانس قد انتهي على الأقل من ناحية نظرية بفوز الحزب الجمهوري بالأغلبية في مجلسي الشيوخ والكونجرس، وهذا ما سيجعل الحكومة الأمريكية تحسب ألف حساب لأي مشروع سياسي خارجي أو النظر في تشريع القوانين الفدرالية، وستحاول أن تتغلب على هذه الأغلبية لا بالاصطدام بها كما في العديد من البلدان، ولكن بمعرفة الاتجاهات التي يريدها الحزب الجمهوري، والمعروف في السياسة الأمريكية لدي السلطتين التشريعية والتنفيذية أن مصلحة أمريكا مقدمة على كل الاعتبارات، وبالتالي فإن المتوقع في

الوضع الجديد في الكونجرس ومجلس الشيوخ أن تكون القرارات مدروسة أكثر من ذي قبل، وأن تنضبط أعمال الحكومة نتيجة لخشيتها من الصدام مع الكونجرس، وكلا الطرفين في السلطة الأمريكية سوف ينظر ولا شك للناخب الأمريكي أو دافع الضرائب الأمريكي ـ كما يقال ـ والذي مطلوب رضاه في كل الأحوال، وبالتالي فإنه ليس من المتوقع حدوث تغيير جذري في السياسة الأمريكية خارجيًا إذ أن المصالح الأمريكية العامة مراعاة في السابق ومقدمة على كل المصالح، وبالتالي فان المتوقع في الوضع الجديد في الكونجرس ومجلس الشيوخ أن تكون القرارات مدروسة أكثر من ذي قبل وأن تنضبط أعمال الحكومة نتيجة لخشيتها من الصدام مع الكونجرس، وكلا الطرفين في السلطة الأمريكية سوف ينظر ولا شك للناخب الأمريكي أو دافع الضرائب الأمريكي ـ كما يقال ـ والذي مطلوب رضاه في كل الأحوال، وبالتالي فإنه ليس من المتوقع حدوث تغيير جذري في السياسة الأمريكية خارجيًا إذ أن المصالح الأمريكية العامة مراعاة في السابق ومقدمة على كل المصالح الأخرى ولن يتجرأ أحد من المنتمين للسلطتين على الإخلال بهذه المصالح بأي حال من الأحوال، إذ أن سيف الناخب الأمريكي وهو دافع الضرائب كما يعبر عنه سيظل مسلطًا

باستمرار على كل من يتولى منصبًا بالانتخابات، أو على صاحب منصب منتخب فالكل محاسب أمام الناخبين والكل يتطلع لإعادة انتخابه مرة أخرى أو للحفاظ على مكانة زملائه في الحزب ولا شك أن نتيجة الانتخابات الأخيرة للكونجرس تشكل ضربة أدبية للحزب الديمقراطي لم يشهدها منذ أربعين سنة كما أنها في الوقت نفسه تعد انتصارًا للحزب الجمهوري، وهو الحزب الأكثر محافظة على مصالح القوى الرأسمالية ورجال الأعمال والشركات الكبرى التي ينظر لها في أمريكا على أنها أهم الجهات توفيرًا للأعمال والوظائف وبالتالي فإن الشركات الكبرى تعد جزءًا هامًا في الحياة الأمريكية عن طريقها تتم التنمية الاقتصادية الأمريكية خارج أمريكا وهذا يعني أن هذه الجهات ستملي سياستها على الرئاسة الأمريكية داخليًا وخارجيًا بما يخدم مصالحها وهذا يتعارض في بعض الأحيان مع ما يتظاهر به الحزب الديمقراطي من حرية وديمقراطية مما سيوجد نوعًا من الإحراج لإدارة الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون، والأيام القادمة للرئيس كلينتون لن تكون أسهل من سابقتها وربما كانت عصيبة وصعبة.

الغرب والغير*

لا شك أن الغربيين على وجه العموم أناس اتسموا بالجدية، وتقدموا في وقت تخلفت فيه كثير من الشعوب، ونشطوا لأنفسهم في وقت أصيب غيرهم بالكسل، وجدوا واجتهدوا حتى فاقوا كثيرًا من الأمم بل تقدموا على جميع الأمم في الحضارة المادية في الوقت الحاضر، وقد كان علماء المسلمين ومفكريهم يدعون للأخذ مما لدى هؤلاء من تقدم علمي وتقني ومادي، دون خلط بالقيم التي عندهم، ولعل ذلك التقدم أو التميز دفع الغربيين لأن ينظروا لأنفسهم نظرة خاصة فيها كثير من الغرور والتعالي والازدراء للآخرين، ولعل لقوة الغرب العسكرية هذه الأيام وسيطرته على مقاليد الأمور في الكثير من أصقاع العالم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة دور كبير لهذا الغرور وبالنظرة لحال العديد من مناطق وأمم العالم الأخرى فإن هناك شيء من التبرير لذلك الغرور، وربما هو محل نظر لواقع وتخلف تلك الأمم، ولست في هذه المقالة أدعوا لازدراء الغرب أو الحط من شأنهم مثل ما فعلوا مع غيرهم، فلديهم من الحضارة المادية ومقوماتها ما جعلهم

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

محل احترام أو خوف هذه الأيام، وبالتالي فإنهم أخذوا يفرضون قيمهم ومبادئهم على الآخرين، والتي أخذت تروج في مختلف الأصقاع وخصوصًا في الأمم التي لا يوجد لها ما يحميها من قيم ومبادئ وتراث، أو الأمم التي تخلت عن قيمها، فهم في الوقت الذي يحترمون أنفسهم ويعتبرون إنهم سادة العالم يحتقرون الآخرين وخصوصًا العرب والمسلمين، ويرون أن من حقهم أن يسلبوهم ثرواتهم وخيراتهم، وأن العرب لا يستطيعون أن يصرفوا أنفسهم ولا يستحقون الثروة التي بين أيديهم، وأن من حقهم أن يأخذوا منهم ما يشاءون، وأن لا يعطوهم إلا ما يريدون فإن باعوهم فالغرب أهل الفضل وإن اشتروا منهم فهم أهل الفضل كذلك.

ولعل حال الإعلام الغربي وطريقته في التعرض للمسلمين وللعرب أكبر مثال حي يشهده الجميع ويؤكد هذا التعالي والغرور.

ويبين بعض الكتاب الغربيين هذا الأمر، فالكاتب الغربي أو المستشرق من أصل عربي إدوارد سعيد وهو من أشهر من كتب حديثًا عن الاستشراق وهو أداة الغرب في فهم الشرق أو العالم الإسلامي والعربي الموجه لنظرة الغربيين لشعوب الشرق، يكشف عن ذلك الغرور من خلال كتابه عن الاستشراق حيث يقول: (لا

تطغى هذه الآراء المعاصرة للمستشرقين على الحافة والعقل الشعبي. فالعرب مثلاً يتصورون راكبي جمال، إرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين شرهيين، تمثل شهوتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية، وثمة دائمًا افتراض متربص بأن المستهلك الغربي رغم كونه ينتمي إلى أقلية عددية ذو حق شرعي أما في امتلاك معظم الموارد الطبيعية في العالم، أو في استهلاكها أو في كليهما، لماذا؟ لأنه بخلاف الشرقي إنسان حق وليس ثمة...، إن غربيًا أبيض ينتمي إلى الطبقة الوسطى يؤمن بأنه امتياز وحسب، أن يدير شؤون العالم غير الأبيض وحسب، بل أن يمتلكه كذلك، لمجرد أن العالم الأخير تحديدًا ليس بالضبط إنسانيًا تمامًا بقدر ما نحن كذلك).[٢] وليس أدل على كلام إدوارد سعيد هذا من حالة الأوروبيين في جنوب إفريقيا إلى وقت قريب بل ربما إلى الآن، كما أن نظرة الغربيين للعرب مثال حي على عنجهيتهم وغطرستهم حيث أنهم يتكاثرون على المسلمين والعرب ما يوجد في بلادهم من بترول وخيرات أخرى، ويحاولون قدر الاستطاعة استنزاف تلك الثروات بشتى الوسائل وشراء السلع والمنتجات الطبيعية والخامات بأرخص الأسعار، وبالعكس بيع منتجاتهم بأغلى الأسعار.

---

(٢) انظر: خليفة بن خياط، **تاريخه**، ص١٦٨. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٢٣٨.

كما أن نظرتهم لما يجري من أحداث في العالم تتسم بالانحياز وعدم الموضوعية في كثير من الأحيان فهم لا يظهرون من العالم الإسلامي مثلاً إلا الصور القاتمة، أما عالمهم فالجميع بعلم ما يظهرون.

وعلى كل حال فهم يبحثون عن مصالحهم، كما أن لديهم كثير من الفضائل التي لا تنكر، ولعل في واقع البلدان العربية والإسلامية ما يجعل نظرة أولئك الغربيين واحتقارهم لهم في محلها إذا كانوا هم يحتقرون أنفسهم، والله المستعان وعليه التكلان.

الغرب الوجه الآخر*

قد يظهر للعالم المعاصر اليوم أن العدل يسود تصرفات الدول المتحضرة، وخصوصًا الدول الغربية، التي تتظاهر دائمًا بالدفاع عن حقوق الإنسان وتحاول استخدام كافة المنظمات الدولية والإقليمية لهذه الغاية وتتظاهر أجهزتها الإعلامية المختلفة بهذا الأمر، وتحاول إبراز المجتمعات الغربية على أنها مجتمعات متحضرة تحافظ على حقوق الإنسان وتحترمه مهما كانت جنسيته أو دينه أو لونه، ولكن الواقع يخالف ذلك، حيث أن كثيرًا من الأقليات التي تعيش في تلك المجتمعات تلاقي ألوانًا مختلفة من الاضطهاد والإيذاء سببه الرئيس في أغلب الأحيان اختلاف تلك الأجناس عنهم في الدين أو العرق، وتطالعنا الأخبار باستمرار عن ما يلاقيه الأجانب في فرنسا أو ألمانيا أو في غيرها من الدول والمجتمعات الأوروبية الغربية، ومع ذلك فإن تلك الأنباء لا تعطي الحقيقة كاملة عن ما يجري، ولا عن الأسباب الكامنة وراء تلك الاضهادات، وعلى سبيل المثال تتحدث الأنباء عن موجة من العنف يتعرض لها الأجانب في ألمانيا راح ضحيتها العديد من

* نُشر هذا المقال **بجريدة البلاد**، الثلاثاء ٢٥ من ذي الحجة ١٤١٣هـ الموافق ١٥ يونيو ١٩٩٣م، العدد(١٠٥٧٠).

القتلى، والشيء الذي لم يكتشف عنه أن الذين تعرضوا لذلك هم من الأتراك المسلمين المقيمين في ألمانيا ذوي اللون الأبيض، الذين يصل عددهم إلى ما يزيد عن ثلاثة ملايين نسمة، وأن جميع هؤلاء معرضون للقتل والاضطهاد أو التشريد والحرمان من الحقوق على يد المتعصبين الألمان أو النازيين الجدد، والسبب الديني من أهم الأسباب فيما يتعرضون له، وأنه إن لم تبادر تركيا والدول الإسلامية بحمايتهم فليس من المستبعد أن يتعرضوا قريبًا لما تعرض له مسلمو البوسنة والهرسك، فالصرب ليسوا في يوغسلافيا وحدها وليس عملهم تطهير عرقي كما تصر وسائل الإعلام العالمية لأن المسلمين الكروات في يوغسلافيا يعودون لعرق واحد فهو إذن تطهير ديني، وألمانيا مرشحة لأن يحدث فيها مثل ما حدث في يوغسلافيا ـ لا سمح الله ـ.

وكذلك بالنسبة للوضع في فرنسا التي يقيم فيها على مضض ملايين المسلمين من شمال إفريقيا يتعرضون لكثير من التهديد بمستقبلهم في تلك البلاد وخصوصًا عند توحيد أوروبا، حيث كشفت الأنباء أنه ستكون لهم معاملة خاصة، وبما يحرمون بموجب قوانين الاتحاد من التنقل أو العمل وحرية الإقامة وغير ذلك من الأمور التي يستمتع بها غيرهم من بني البشر في ظل الاتحاد الأوروبي الجديد، ونحن حينما نطالع تلك الأنباء و نرى تظاهر

الغرب بالحرية والديمقراطية وحماية الحق والعدل، وغير ذلك من الشعارات التي يحاولون التأكيد عليها من خلال سيطرتهم الإعلامية العالمية، ندرك أنها خاصة بهم لا يشاركون معهم غيرهم فيها، وأما مع الشعوب الأخرى فهي في كثير من الأحيان ليست سوى شعارات وأعمال جمالية تضفي عليهم ظاهريًا صبغة حضارية ولكن الواقع في كثير من الأحيان يكشف هذا الزيف، ولا يخفي على أحد من الناس الموقف الأوروبي في هذه الأيام من قتل وتشريد مسلمي البوسنة والهرسك وتدمير بلادهم، وإصرار الأوروبيين على التزييف والظهور بمظهر من يريد وقف القتال.

ومع هذا الزيف فإننا لكي نكون منصفين لا بد أن نذكر أن كثير من هذه الدول أفضل واقعًا من الناحية الإنسانية من بعض دول العالم الإسلامي التي تمارس ضد شعوبها أحيانًا قوة لا تقبل.

قوى العضلات في العقلية الغربية*

من يزور دول الغرب يرى اهتمامًا ظاهرًا وغريبًا بتقوية العضلات وتربية الأبدان والاهتمام بكل ما يساعد على ذلك من وسائل مختلفة فتنشأ الأندية الرياضية الخاصة لكمال الأجسام، وترى الناس يتسابقون للالتحاق بها، ويدفعون لذلك المبالغ الضخمة، حيث ينفقون في سبيل ذلك المال والوقت دونما حساب، لتحقيق مظهر القوة في أبدانهم سواء كانوا رجالاً أو نساءً، وإذا دخلت أي ناد من هذه الأندية فإنك تعجب أشد العجب لما فيه من أجهزة مختلفة كل واحد منها مهمته تقوية عضلة معينة من عضلات الجسم، ويبدو لمن يرى هؤلاء المتدربين أن قوة عضلاتهم وشكل أجسامهم تشكل شغلهم الشاغل المقدم على كل شيء.

وتنتشر في دول الغرب عمومًا وفي أمريكا خصوصًا العديد من المجلات المتخصصة بكمال الأجسام والتي تعرض على صفحاتها صور غريبة لمن جعلوا همهم أن تبدو أجسامهم وعضلاتهم بشكل قوي، وتخرج سنويًا عشرات الآلاف من الكتب والنشرات والأفلام، وتعد من أكثر المنشورات مبيعًا في الأسواق الغربية

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

وليس لها منافس، كما أن التلفزيونات تتنافس في تقديم البرامج التي تخدم هذا الاتجاه في فترات مختلفة.

وقد أصبح لأمر القوة الجسدية وقوة العضلات وعمل الخوارق للعادات من استخدام القوة الجسدية والذكاء الخارق يسيطر على كثير من الأفلام المنتجة في هوليود وغيرها، من أمثال(سوبرمان) (وجيمس بوند) قديمًا وأمثال(رامبو) وأبطال السلاح والقوة الجسدية(كالكونغفو) وغيرها من آلاف الأفلام التي أنتجت حديثًا، ويشكل هذا الاتجاه سيطرة كبيرة على العقلية الثقافية الغربية عمومًا والأمريكية خصوصًا، ويعود السبب في ذلك إلى بقايا من الاعتقادات والأساطير اليونانية القديمة التي ورثها الغرب الأوربي وأمريكا عن أجداد الحضارة الغربية من اليونان والرومان الذين كانوا يقدسون القوة ويحترمونها ويحتقرون الضعف، وكان عالمهم في تلك الفترة يعج بالغرائب و حيث كان الرجال الأقوياء يتصارعون أمام الناس كل يظهر قوته ويكون البطل فيها من يستطيع قتل خصمه أمام الناس دون أي شفقة أو رحمة والناس يصفقون له ويشجعونه، وقد تكون المصارعة أحيانًا مع وحش كاسر كالأسد أو النمر فإما أن ينتصر المصارع ويقتل الوحش أمام الناس وإما أن يفترسه الوحش ويأكل لحمه على مشهد منهم أيضًا، ومن هنا جاء اهتمام أولئك القدماء بالقوة العضلية

وتقديرهم الشديد لها بل وتقديسها وعبادتها أحيانًا وهذا بالتالي ما انتقل إلى الأجيال الحاضرة من ورثة الرومان واليونان، ولذلك فلا غرابة أن نشاهد المصارعات التي يجرح فيها بعض المتصارعين وتسيل دماؤهم والناس يصفقون ويهللون، ولا غرابة أن تكون الملاكمة وهي لعبة خطيرة تقوم على العنف لها ملايين المشاهدين في بلاد الغرب وتدر ملايين الدولارات من المكاسب على منظميها ومحترفيها، كما أن المبارزة بالسلاح حتى الموت دونما جريمة كانت تمارس حتى وقت قريب في أمريكا وتعد شرعية والقاتل لا يستحق أي جزاء لأنه منتصر، وهذا ما يشاهده العالم من خلال أفلام(الكابوي).

كما أن معظم ما ينتج الآن من أفلام الكرتون في الغرب يصب في خانة القتال والصراع وقوة العضلات واستخدام الدهاء في ذلك وهذا كله بالطبع يتم بالتأثيرات التاريخية التي ذكرناها وينمي ويغذي اتجاه تقديس القوة العضلية الموروث منذ أيام الرومان.

ولم تتوقف هذه التأثيرات على العضلات وما يرتبط بها بل تعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، حيث يسيطر على العقليات العامة بأن هناك بعض من يخرقون العادات ويتمتعون بقوة تختلف عن قوة البشر ولذلك خرجت الآلاف من الأفلام تمثل مثل هذه المعتقدات والتي تؤله أناس أو مخلوقات معينة بطريقة غير مباشرة وهذا يعود

أيضًا في جذوره إلى الوثنية اليونانية القديمة والتي تزعم والعياذ بالله بعض القدرات الإلهية لبعض الكائنات وبعض الناس، وهذا الأمر بالنسبة للغربيين طبيعي وتغذيه الكتابات الخيالية المختلفة، وتعد الأفلام التي تخدم هذا المجال في نظرهم أفلامًا جيدة وناجحة وقد تزعم في بعض الأحيان إن تلك القوى الخارقة للعادة إنما هي نتاج العلم والاختراع، والنتيجة واحدة وهي الاعتقاد بأن بعض المخلوقات تملك إنقاذ مدن كاملة بحركة فرد واحد وبقوة عضلاته أحيانًا أو غير ذلك من الخرافات التي تلقى رواجًا كبيرًا في هوليود وغيرها من مواقع الإنتاج السينمائي الخرافي الذي يغذي الوثنية بطريقة حديثة وبارعة وذكية، قد تنطلي على كثير من الناس ممن يظنون أن هذه أفلام للمتعة فقط، والله المستعان.

الروس ومسلمو أوربا ١ـ٣*

الحوادث التي تجري على المسلمين، في أوروبا وخصوصًا في البلقان أو في الجمهوريات السوفيتية السابقة في الشيشان وما جاورها، هي جزء من صراع المسلمين مع أعدائهم في تلك المناطق سواء من الصرب أو الروس والذين يجمعهم المذهب المالكي الأرثوذكسي الواحد، وقد كان لروسيا دور مباشر فيما يجري فهي التي تقاتل المسلمين في الشيشان بوحشية لا مثيل لها، ومع ذلك فإن الغرب ودوله التي تدعي الرحمة والإنسانية تصرح بأن هذا أمر روسي داخلي، لماذا؟، لأن القتلى فيه من المسلمين، ولو كانوا من غيرهم لما سكتوا عن ذلك، كما أن روسيا هي نفسها التي تدعم الصرب في حربهم ضد المسلمين في البوسنة بمختلف أنواع الأسلحة، مع أن روسيا أحد الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن، ويفترض عليها المحافظة على السلام، ومع ذلك فهي تسعى لتثبيت قرار منع السلاح عن مسلمي البوسنة، في الوقت الذي تمد هي الصرب بالأسلحة المختلفة، ولفهم طبيعة العلاقة بين روسيا وبين مسلمي أوروبا سواء داخل حدود روسيا أو خارجها لا بد لنا من دراسة تاريخية لجذور هذه العلاقة.

---

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

قبل حوالي مائة إلى مائة وخمسين سنة كانت شرق أوروبا ووسطها مليئة بالمسلمين بتأثير الفتوحات العثمانية،[١] وما سبقها ولحقها من دعوة حيث دخل معظم سكان مناطق البلقان واليونان وبلغاريا ورومانيا وغيرها في الإسلام، وكان المسلمون في تلك المناطق يحظون بالدعم العثماني ويرتبطون به، وقد عملت على تقويتهم في وجه محاولات العديد من الدول الأوروبية طرد المسلمين من مناطقهم في أوروبا، ولذلك فإن الأتراك العثمانيون كانوا يشكلون قوة تقف مع المسلمين في تلك المناطق في الوقت الذي كانت فيه القوى النصرانية الأوروبية تدعم النصارى، وقد قامت بعض الثورات بين اليونانيين ضد المسلمين في اليونان وضد الدولة العثمانية في سنة١٢٤٣هـ/١٨٢٧م، وتمكن الجيش العثماني من القضاء على تلك الثورات، فتحالفت روسيا مع بريطانيا وفرنسا وبروسيا(ألمانيا والنمسا حاليًا) ضد الدولة العثمانية وذلك ابتغاء طردها من اليونان، فقامات أساطيل تلك الدول مجتمعة بمهاجمة السفن العثمانية في اليونان، وتمكنت من تحطيمها كاملة خلال فترة وجيزة حيث لم يكن الهجوم متوقعًا، وقد كانت روسيا هي المستفيد الأول من تحطيم الأسطول العثماني،[٢] حيث كانت على

(١ انظر: على حسون، **العثمانيون والروس**.

(٢ انظر: على حسون، **العثمانيون والروس**.

أهبة الاستعداد لاستغلال الفرصة فتقدمت في الأراضي العثمانية واستولت على بوخارست عاصمة ولاية الافلاق العثمانية في تلك الفترة(رومانيا حاليًا) كما استولت على(وارنه) و(ياشي) وغيرها من المدن العثمانية التي تقع ـ حاليًا ـ في رومانيا وبلغاريا، وقد استمر القتال حول تلك المناطق حتى عام١٢٤٥هـ، فكان النصر في النهاية للروس، ورغم ذلك فإن العثمانيين أوقعوا بهم خسائر فادحة، وقد انتهت تلك المعارك بعقد معاهدة بين الطرفين، عرفت بمعاهدة(أدرنه) أعطت الروس العديد من الامتيازات وحددت الحدود بين الطرفين واستولى الروس بموجبها على مناطق إسلامية تحكموا بعد ذلك في مصير شعوبها.

ورغم تلك المعاهدة فإن الروس والعثمانيين ظلوا في حالة ترقب سببها ما يوقعه الروس من أذى للمسلمين في شرق أوروبا، وأواسط آسيا، وجرت بينهم بعض المعارك حيث كانت روسيا تحاول استغلال الفرص لضرب العثمانيين والاستيلاء على الأراضي التابعة لهم في شرق أوروبا مما دفع بقية الدول الأوروبية إلى الشعور بالخوف من نمو القوة الروسية، حيث أصبح لدى فرنسا وبريطانيا شعور معاد لروسيا، مع أنه كانت لدى هاتين الدولتين الرغبة نفسها في الاستيلاء على بعض الأراضي العثمانية، خصوصًا أن الدولة العثمانية كانت تمر بمرحلة من الضعف دفعت تلك الدول

إلى التفكير الجدي في تقاسم أراضيها، ولذلك فقد سارعت بريطانيا وفرنسا بالتظاهر بالشفقة على العثمانيين وإظهار الرغبة في مساعدتهم في الحفاظ على أراضيهم والوقوف في وجه الروس، ودخلت تلك الدول مع العثمانيين في حرب ضد الروس سنة١٢٦٢هـ/١٨٤٥م، وكان لذلك التحالف أسوأ الأثر على مستقبل العثمانيين في المنطقة، وقد خاضت الجيوش العثمانية معارك شجاعة وتمكنت من هزيمة الروس حول مدينة(فارنة) مما حدا بالروس إلى الهرب وفي مقدمتهم قائدهم، فلحق بهم العثمانيون للقضاء عليهم فمنعتهم جيوش الحلفاء الأوروبية وعلى رأسها الجيوش النمساوية، ولم يكتف الأوربيون بمنع العثمانيين من إتمام نصر محقق على الروس، بل إن النمساويين أنفسهم احتلوا مناطق(البغدان) و(الافلاق)، وهي ولايات عثمانية في شرق أوروبا، وبذلك فإن العثمانيين قد تخلصوا من الاحتلال الروسي لبعض المناطق فوقعت في يد الاحتلال النمساوي، وتعرض المسلمون للاضطهاد ورضخ العثمانيون لهذا الأمر طمعًا في استمرار التحالف، وخوفًا من الدخول في حرب جديدة، وفقد المسلمون مواطن لهم في أوربا واضطر مئات الآلاف منهم إلى الرحيل أمام الاضطهاد الأوروبي إلى مختلف أقاليم دول العالم الإسلامي آنذاك، وما أشبه الليلة بالبارحة، ولي وقفة أخرى مع الموضوع بإذن الله، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

الروس ومسلمو أوربا ٢ـ٣*

تحدثت في المقال السابق عن العداء بين الروس والمسلمين، وكيف كان الروس منذ قويت دولتهم القيصرية قبل حوالي قرنيين من الزمان، كانت تلك القيصرية تطمع في مد نفوذها على المناطق الإسلامية المجاورة لها في شرق أوروبا وفي أواسط آسيا، وبالتالي أخذت تخوض المعارك مع القوى الإسلامية المعاصرة لها في تلك الفترة وخصوصًا مع الدولة العثمانية التي كانت تمد نفوذها على العديد من تلك الأقاليم(١) في تلك الفترة وهاأنذا اليوم أواصل ما بدأته من حديث في المقال السابق، فقد ذكرنا أن العثمانيين كانوا يتحالفون مع بعض الدول الأوروبية التي تتظاهر بأن المد الروسي في شرق أوروبا يمثل خطرًا عليهم، وبالتالي فإن العثمانيين وقعوا في حبائل الدول الأوروبية الغربية، وأصبحوا نتيجة لتلك التحالفات تحت رحمة دول أوروبا الغربية الذين كانوا يتدخلون كلما رأوا أن المعارك في صالح العثمانيين وبإسم تلك التحالفات وتلك الصداقات أخذت الدولة العثمانية تفقد الكثير من أقاليمها في أوربا وأصبح المسلمون في تلك المناطق غرباء يتعرضون لكل

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

(١) انظر: على حسون، **العثمانيون والروس**.

أنواع الأذى، مع أنهم أهل تلك المناطق الأصليين إلا أنهم دخلوا في الإسلام.

وقد انتقلت ساحة المعارك بين العثمانيين وحلفائها الأوربيين في بعض المراحل إلى السواحل الشمالية لروسيا، ووقعت معارك بحرية حول مدينة(بطرسبرج) سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، كما تمكن العثمانيون وحلفاؤهم من احتلال بعض الموانئ الروسية في بحر البلطيق، وتقدموا في جبهات أخرى حتى كادوا أن يتمكنوا من احتلال(كييف) نفسها وبالتالي آثر الروس المفاوضات على الحرب، وجرت المفاوضات بين الحلفاء ومعهم العثمانيون من جهة وبين الروس من جهة أخرى، ووقعت اتفاقية باريس بين مختلف الأطراف في نفس السنة، وانتهت بذلك الحرب العثمانية مع روسيا في تلك الأيام مؤقتًا مع بقاء الأطماع الروسية والأوربية في الدولة العثمانية وممتلكاتها في أوربا بل وفي العالم العربي والإسلامي، وبالتالي فقد ظلت تلك الدول مجتمعة تعمل على إثارة المشكلات المختلفة في الدولة العثمانية، عن طريق دعم الثورات، والأقليات العرقية والدينية، وتأسيس جمعيات سرية في أوربا وفي غيرها تعمل ضد الدولة العثمانية، وصار الأوربيون يعملون على إمدادها بالسلاح والمال، في محاولات جادة لإضعاف الدولة العثمانية وتقويض بنائها، وبالتالي زادت حركات العصيان والتمرد ضد

العثمـانيين في مختلـف أقـاليم الدولـة الأوربيـة، والـتي كانـت مصحوبة بمجازر ضد المسلمين.

وفي أواخر عصر الدولة العثمانية، وبالذات في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني(١٢٩٣هـ/١٣٢٧هـ الموافق ١٨٧٦م ـ ١٩٠٩م) كثرت الثورات بدعم من روسيا والدول الأوروبية في البلقان واليونان وغيرها من الأقاليم العثمانية الأوربية، التي كان يقطنها ملايين المسلمين في تلك الفترة، وقد قام الولاة والقادة العثمانيون بالقضاء على معظم تلك الثورات، مما أثار الرأي العام الأوربي ضد العثمانيين، وقد قامت الدولة العثمانية سنة١٢٩٣هـ بضربة قوية للصرب الذين حشدوا قوات كبرى لطرد المسلمين من البلقان ـ يوغسلافيا السابقة بما فيها البوسنة والهرسك ـ فكان النصر حليف العثمانيين وكسروا شوكة الصرب في البلقان، مما دعا روسيا إلى إعلان العداء مرة أخرى ضد الدولة العثمانية وتجميع قواتها استعدادًا لمحاربة العثمانيين، وقد بذلت مناورات دولية لإرغام العثمانيين على التخلي عن بعض مقاطعاتهم الأوربية لصالح النصارى هناك، واشترك في ذلك كل من فرنسا وبريطانيا والنمسا الذين حضر مندوبون عنهم مؤتمرًا في استانبول سنة١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، إلا أن المؤتمر انفض دون أن تتفق أطرافه على شيء محدد حيث أصر العثمانيون على التمسك بتلك المناطق

مع ضمان المساواة فيها بين المسلمين وغيرهم، لكن الأوربيون كانوا يطالبون الدولة العثمانية بالخروج من تلك الأقاليم دون قيد أو شرط، وهذا يعني بالطبع تهديدًا خطيرًا للمسلمين في تلك المناطق الذين سيتعرضون للقتل والاضطهاد مما دعا الدولة العثمانية لاتخاذ موقف متشدد.

وقد أرسلت مذكرات تهديد إلى الدولة العثمانية للضغط عليها، ولكن العثمانيين لم يتراجعوا عن موقفهم في الاحتفاظ بمواقعهم شرق أوربا وبالتالي أعلنت روسيا بعد إعداد تام الحرب على الدولة العثمانية، بعد أن تحالفت مع رومانيا التي كانت خاضعة في السابق للعثمانيين، فانضمت إلى روسيا في هذه الحرب، ووقع سكانها المسلمين في المصيدة بين الجيوش الروسية والنصارى الرومانيين، وقد توجهت الجيوش العثمانية لملاقاة الغزاة الروس، وأصدر العلماء في استانبول فتاوى بوجوب القتال على القادرين، وأعلن السلطان عبد الحميد حالة الحرب في كافة أنحاء الدولة العثمانية.

عبرت الجيوش الروسية نهر الدانوب واستولت على بعض المدن التابعة للعثمانيين ومنها(تيرنوه) و(نيقوبلي) ـ تقع حاليًا في بلغاريا ـ كما استولى الروس على بعض النقاط الحساسة والمعابر المؤدية إلى البلقان، وقام السلطان عبد الحميد بتغيير كبير في قيادات

الجيوش العثمانية للتصدي للغزو الروسي، وقد حاول الروس الاستيلاء على مدينة(بلفنه) ـ تقع حاليًا في بلغاريا ـ وهي من أهم المعابر إلى البلقان ولكن القائد العثماني الشجاع الغازي(عثمان باشا) تصدى لهم بكل شجاعة، فردهم على أعقابهم منهزمين، فأعادوا الهجوم مرة أخرى بقوات أكثر كثافة ومع ذلك نجح ذلك القائد العثماني الفذ في التصدي للروس مرة أخرى.

وأمام هذا الصمود حاول الروس التغيير من سياستهم في الاستيلاء على هذه المدينة واتبعوا سياسة الحصار لها، وحاولوا منع الإمدادات من الوصول إلى الجيوش العثمانية فيها، وفي الوقت نفسه عززوا قواتهم وحضر القيصر الروسي ومعه أشهر قواته للإشراف بنفسه على المعركة القادمة، وقد كان لحضوره أثر كبير في رفع معنويات القوات الروسية، كما حدثت خيانة من أمير رومانيا الذي يفترض أنه مع العثمانيين، أو أنه محايد على الأقل، ولكنه انضم بقواته البالغة مائة ألف مقاتل إلى الروس، فأصبحت الكفة العسكرية في صالح الروس، حيث تجاوز عددهم(١٥٠) ألف مقاتل، ففرضوا حصارًا من ثلاثة خطوط على القوات العثمانية، ومع هذا فإن العثمانيين المحاصرين بقيادة عثمان باشا صمدوا صمود الأبطال، ورغم أن عددهم كان قرابة(٥٠) ألف مقاتل فإنهم لم يكتفوا بذلك الصمود، بل أعدوا

خطة رائعة لهجوم معاكس على خطوط العدو المحاصر لهم طالبين بذلك إما النصر وفك الحصار عنهم أو الشهادة.

وقاد عثمان باشا قواته التي انحدرت على الأعداء وهم يهللون ويكبرون، فسقطت أعداد كبيرة منهم شهداء على أيدي قوات الروس، ومع ذلك فقد تمكنوا من اختراق الخط الأول للمحاصرين والخط الثاني، واستولوا على المدافع فيه، وأصيب القائد عثمان باشا ببعض الجراح عند الخط الثالث فسرت إشاعة قوية بين جنده باستشهاده ففت ذلك في عضدهم، وحاولوا الرجوع إلى المدينة، ولكن بعض قوات الروس أصبحت داخلها وبذلك أصبح الجند العثمانيون في العراء بين نيران العدو المختلفة، فاضطروا إلى الاستسلام للقوات الروسية، وكان ذلك في ١٢٩٤هـ أواخر ١٨٧٧م، وقد سلم القائد العثماني نفسه وهو جريح إلى الروس الذين كانوا معجبين به ويشيدون بشجاعته وأقدامه، كانت تلك الانتصارات الروسية في تلك المناطق تجر الاضطهاد والمجازر للمسلمين سواء من قبل الروس مباشرة أو من قبل النصارى الذين يتسترون وراء القوة الروسية النامية في أوربا، وكان المسلمون في تلك المناطق هم من السكان الأصليين لها إلا أن كونهم مسلمين كان يعد مبررًا قويًا للقضاء عليهم وتدميرهم وقتلهم أو تهجيرهم. وقد حصلت للمسلمين في شرق أوروبا مجازر

لا تقل عن ما حصل لهم في البوسنة في هذه الأيام إلا أن الإعلام العالمي والتاريخ لا يسطر مثل هذه الأشياء مع تقصير من المسلمين في رصدها.

ولي وقفة أخرى مع الموضوع نفسه ـ بإذن الله ـ، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

الروس ومسلمو أوربا ٣ـ٣*

تحدثت في مقال سابق عن الصراع بين المسلمين والروس خلال القرنين الماضيين وأن ما يجري بين المسلمين والصرب وبين المسلمين في الشيشان والروس ما هو إلا امتداد لذلك الصراع، وإن موقف الروس ضد المسلمين في الشيشان، ووقوفهم مع الصرب ضد مسلمي البوسنة له جذور تاريخية، فالمسلمون في شرق أوروبا كانوا وما زالوا يشكلون تجمعات لها كثافتها بل وكانت تسيطر على مناطق واسعة في شرق أوربا، وكان المسلمون هناك من أبناء المنطقة نفسها الذين دخلوا في الإسلام، ومع هذا فقد وقفت منهم معظم الدول الأوربية موقفًا معاديًا وقد حملت روسيا راية العداء للمسلمين في تلك المناطق منذ قرنين من الزمان إلى يومنا الحاضر،(١) وفي المقال السابق ذكرنا العديد من الحروب التي خاضها العثمانيون مع الروس للدفاع عن المسلمين، مع أن الدولة العثمانية في تلك الفترة كانت لها العديد من الأخطاء إلا أنها كانت تشكل سندًا قويًا للمسلمين في أوربا، وقد تمكن الروس من هزيمة الدولة العثمانية في العديد من الوقائع في شرق

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

(١) راجع: على حسون، **العثمانيون والروس**.

أوربا وقد شجعت تلك الانتصارات الروسية الصرب في البلقان على التحرك ضد العثمانيين، وقامت جيوشهم بالهجوم على المواقع العثمانية هناك، فشغلتهم عن الروس، الذين كانوا في الوقت نفسه يسعون لاحتلال مناطق جديدة، وبالفعل تمكن الروس من الاستيلاء على صوفيا ـ عاصمة رومانيا حاليًا وكانت مدينة عثمانية إسلامية ـ ولم يكتف الروس بهذا، بل توجهوا جنوبًا ناحية العاصمة العثمانية ـ استانبول ـ وتمكنوا من احتلال(أدرنه) العاصمة العثمانية القديمة، ووصلوا إلى مواقع لا تبعد سوى خمسين كيلو مترًا عن استانبول، وأصبح الموقف داخل الدولة العثمانية سيئ إلى أبعد الحدود.

وفي الوقت نفسه كانت تجري العديد من المعارك بين العثمانيين والروس في الجانب الآسيوي حيث وصل الروس إلى الأناضول، ومع ذلك تمكن العثمانيون من هزيمتهم ومطاردتهم داخل الأراضي الروسية، وانتصر العثمانيون بقيادة(أحمد مختار باشا) على الروس في أكثر من ست معارك، مما جعل السلطان عبد الحميد يصدر مرسومًا في الثناء عليه، وقد عاود الروس الهجوم في تلك المناطق مرة أخرى وتمكنوا سنة١٢٩٥هـ من إنزال الهزائم بالقوات العثمانية والاستيلاء على بعض المناطق في الأناضول نفسها، وأمام تلك الهزائم العثمانية في أوربا وفي آسيا

اضطرت الدولة العثمانية للدخول في هدنة مع الروس وقبول المفاوضات معهم، حيث وقعت بين الطرفين معاهدة(سان ستفانس) التي سلخت معظم الأجزاء العثمانية في أوربا بما في ذلك البلقان ورومانيا وبلغاريا، إضافة إلى دفع العثمانيين تعويضات للروس مقابل ما خسروه في الحرب، وقد كانت تلك المعاهدة إذلالاً للعثمانيين لم يسبق له مثيل، ومن الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قبيل تلك الفترة قد مرت بتغير خطير، حيث أعلنت فيها المساواة بين المسلمين وغيرهم واعتبر جميع الرعايا العثمانيين مواطنين دون أي تمييز، وبموجب ذلك فإن بعض النصارى دخلوا في الجيش، وكان لبعضهم أثر كبير في الهزائم التي وقعت، مع أنه بقى في صفوف العثمانيين من قاتل دفاعًا عن الإسلام، حيث كان لديهم شعور قوي أن روسيا حينما دخلت الحرب مع العثمانيين كانت بدوافع دينية نصرانية بالدرجة الأولى، وأن صراع الأوربيين عمومًا مع العثمانيين في تلك الفترة كان صراعًا دينيًا على هذا النحو، رغم تظاهر دولهم في تلك الحقبة بالحرية والعصرانية والمساواة وغير ذلك من الشعارات البراقة التي كانوا يرفعونها.

ورغم ما حدث للعثمانيين من خذلان وضعف نتيجة تلك المعاهدة وأن صراع الأوربيين عمومًا مع العثمانيين في تلك الفترة كان

صراعًا دينيًا على هذا النحو، رغم تظاهر دولهم في تلك الحقبة بالعصرانية والمساواة، فقد تعرض المسلمون في تلك المناطق لمذابح كبرى على يد النصارى أمام مسمع أوروبا وهي شبيهة ما يجري لهم اليوم في البوسنة والهرسك وفي الشيشان وأخذ الملايين منهم يهاجرون إلى داخل الدولة العثمانية وخصوصًا في بلاد الشام والأردن وفلسطين ومصر، حيث لا تزال آلاف الأسر تعيش هناك إلى اليوم، وقد كانوا تلك الفترة يعيشون لاجئين ويشكلون عبئًا كبيرًا على حكومة اسطنبول وبهذه الهجرات أخذ الوجود الإسلامي في تلك المناطق يقل، ويضعف إلى حد كبير، مما زاد من قبضة النصارى في تلك المناطق، كما أن الدول الأوربية الأخرى كانت حريصة على إضعاف الدور الروسي في المنطقة وفي الوقت نفسه القضاء نهائيًا على الدولة العثمانية، والتفرد بمسلمي تلك المناطق، وقد واتتها تلك الفرصة في الحرب العالمية الأولى بعد أن نخرت القومية التركية في جسد الدولة العثمانية واستعدت عليها الشعوب العربية وغيرها من القوميات.

وبعد أن ضاعت هوية العثمانيين الإسلامية ضاعوا، وانحدرت تركيا وشعوبها إلى الحضيض بعد أن كانت خلال قرون أقوى الدول الإسلامية في آسيا بل وأقوى الدول الأوربية في القرن العاشر الهجري دون منازع، وهكذا نرى أنهم أضاعوا الإسلام فضاعوا،

وضعف المسلمون الذين أخذوا يقلون نتيجة الضغوط النصرانية، وما مشكلة الشيشان والبوسنة والهرسك وقبرص وغيرها من مشاكل المسلمين وعلاقاتهم بالأوروبيين إلا امتدادًا لتلك الحقبة التاريخية، التي لعب فيها الروس ولا يزالون دورًا كبيرًا ومهمًا أضعف دور مسلمي هذا الزمان، وسيأتي الله بإذنه بقوم ينصرونه، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

الشيشان والخوف النووي*

كلنا نسمع هذه الأيام بالحرب القائمة في جمهورية الشيشان بمنطقة القوقاز في الاتحاد السوفيتي ــ سابقًا ــ بين الشعب الشيشاني المسلم وبين الجيش الروسي، وقبل الدخول في تفاصيل الحرب وما يدور فيها لابد من معرفة تلك المنطقة التي كانت ولا تزال تعتبر جزء من العالم الإسلامي، حيث تقع جمهورية الشيشان في منطقة(القوقاز) وتنسب منطقة القوقاز إلى جبال القوقاز، والتي وصلها الإسلام في القرن الأول الهجري، وتقع في هذه المنطقة عدد من الجمهوريات الإسلامية شمال الجبال وجنوبها، ومن أبرز هذه الجمهوريات شمال الجبال ما يلي:

١) جمهورية الشيشان والأنغوش، والتي نحن بصدد الحديث عنها وعاصمتها(غروزني) ونسبة المسلمين فيها قرابة ٧٠٪ من السكان، البالغ عددهم(٢) مليون نسمة.

٢) جمهورية داغستان، وعاصمتها(محج قلعة)، ونسبة المسلمين فيها ٨٥٪ من السكان، البالغ عددهم(٢) مليون نسمة.

---

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

٣) جمهورية قبار طاي بلقار، وعاصمتها(نالجيك)، ونسبة المسلمين فيها٥٥٪ من السكان، البالغ عددهم قرابة(٧٠٠) ألف نسمة.

٤) جمهورية قرشاي شركس، وعاصمتها(شيركس) وتبلغ نسبة المسلمين فيها قرابة٥٠٪ من السكان، البالغ عددهم حوالي(٤٠٠) ألف نسمة.

٥) جمهورية الاديغية، وعاصمتها(ميكوب)، وتبلغ نسبة المسلمين فيها قرابة٥٠٪ من السكان، البالغ عددهم حوالي(٥٠٠) ألف نسمة.

وتشهد مناطق المسلمين في القوقاز شيء من الحركة للعودة للتعليم الإسلامي وبخاصة إن هذه المناطق تمتاز عن غيرها من المناطق الإسلامية بوجود شعوب مميزة ذات ترابط وتعاون برغم ما مرت به من ظروف أيام الحكم الشيوعي.

وفي الجنوب من جبال القوقاز يقع عدد آخر من الجمهوريات الإسلامية التي تشهد في الوقت الحاضر تكالب النصارى والشيوعيين ضد المسلمين فيها، وتبلغ نسبة المسلمين فيها٨٣٪ من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي(٧) ملايين نسمة.

كما أن هناك شعوب مسلمة عديدة في جمهوريات ومناطق

أخرى بعيدة عن القوقاز.

وقد ذابت معظم شعوب المناطق الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقًا ولم تعد تعرف من الإسلام إلا القليل، ومع ذلك فإنها تعتبرها هويتها الرئيسية برغم الظروف الصعبة، ومع ذلك فلا يزال هناك شيء من التجانس أو الشعور به على الأقل في هذه الجمهوريات ضد الغزو الروسي للشيشان في الحرب التي بدأت ولا يعلم متى تنتهي، وهذه الحرب ليست متكافئة بالطبع، فلا يمكن مقارنة قوات الشيشان وقوات الروس، فالشيشان شعب قليل، وحكومته غير مسلحة ولا يمكن أن تواجه الروس عسكريًا.

ومع هذا فإن الشعب الشيشاني يحسب له حساب داخل روسيا نفسها، فقد سبق للحكم الشيوعي زمن ستالين أن رحل مئات الألوف من الشيشان من مناطقهم الأصلية إلى مناطق روسية مختلفة، وبالتالي فإن التواجد الشيشاني المبثوث داخل روسيا يشكل خطرًا أمنيًا وتهديدًا قويًا لروسيا نفسها.

والشعب الشيشاني بطبيعته شعب شجاع وخشن ويحب المغامرة، ولذلك فإن العديد من العصابات داخل موسكو تحتوي على عناصر شيشانية، كما أن قضايا بيع السلاح وتهريبه في

روسيا يشارك فيها العديد من الشيشان.

ومن المعروف أن الاتحاد السوفيتي سابقًا يعاني من التسرب وعدم الانضباط في قضايا السلاح ذي القوة التدميرية الشاملة وفي روسيا وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وتنتشر مستودعات لهذا النوع من السلاح في مناطق مختلفة وروسيا تحاول تجميعها في مناطق مركزية، ومرحلة التجميع والتحريك مرحلة خطيرة وحساسة، ولذلك فإن بعض الخبراء يتوقعون في حال زيادة الضغط على الشيشان أن يقوم الشيشان بتهديد روسيا نفسها وربما العاصمة موسكو نوويًا أو كيماويًا من داخل ترسانة السلاح الروسي نفسه، وقد كان السياسيون الروس يحسبون للشيشان حسابًا شديدًا ويداورونهم حتى في التصريحات لما يعرفون من سطوتهم داخل موسكو، ولذلك فقد كان الرئيس الروسي (يلتسن) مترددًا في اتخاذ قرار غزو الشيشان وبعد أن اتخذ هذا القرار أصبحت حياته مهددة بالخطر كما تقول التقارير والأيام قادمة وسيأتيك بالأخبار من لم تنبئ، ولي لقاء آخر بإذن الله مع الموضوع نفسه، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

روسيا والدور الجديد*

يسّـرَ الله لـي قبـل عـدة أسـابيع زيـارة إلى روسـيا وبعـض الجمهوريات الإسلامية فيما كان يعرف سابقًا بالاتحاد السوفيتي أو(دول الكومنولث) كما تسمى حاليًا، وقد حاولت خلال تلك الزيارة أن اطلع على السياسة الروسية الحالية تجاه المسلمين في الجمهوريـات، والعـالم الإسـلامي، وأن استشـف التوجهـات المستقبلية للسياسة الروسية في هذا الجانب.

وقد ركزت الملاحظة على بعض القضايا الساخنة التي تشغل الرأي العام الإسلامي في هذه الأيام، فعلى سبيل المثال القضية المنسية من وسائل الإعلام العربي والتي لا تكاد تذكر هذه الأيام قضـية المهـاجرين اليهـود مـن روسـيا وجمهورياتهـا السـابقة إلى فلسطين، لاحظت أنها لا تزال قائمة على أشدها وتبارك رسميًا من الحكومـة الروسـية، بـدعم وتنسـيق مـن ومـع أمريكـا وابنتهـا إسـرائيل، ولكـن دون محاولـة إحـداث ضوضـاء علـى مـا يجـري، كـل ذلـك في غفلـة تامـة وسـكوت مميـت مـن العـرب المسـتعربة

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

والعرب العاربة المشغولين بمائدة المفاوضات، والذين ليس لهم على المائدة إلا الفتات، والذين لم يعودوا يهتمون لعمليات التهجير أو ينتقدونها حتى لا تؤثر على اجتماعات واشنطن.

والقضية الأخرى التي بانت لي من خلالها مواقف الروس بلباسهم الغربي الجديد موقفهم من ذبح المسلمين في البوسنة والهرسك، فكلنا نعرف مواقف روسيا المعلنة في هيئة الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن، حيث أنها وقفت ضد إصدار قرارات تمس الصرب، وهددت أكثر من مرة باستعمال حق الفيتو ضد أي مشروع قرار جاد يوقف الصرب عن ذبح المسلمين، كما أنه من الثابت لدى العالم أجمع أن روسيا تبعث بالسلاح عن طريق اليونان وغيرها إلى الصرب في الوقت الذي يمنع فيه السلاح ـ بقرارات روسيا وغيرها من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ـ عن مسلمي البوسنة.

وقد علمت من بعض المصادر إن هذه الأسلحة تصدر من روسيا عن طريقين الطريق الرسمي الحكومي بكل ما فيه من إمكانيات، وتحاول الحكومة عدم إظهار ذلك بل وتنكره في كثير من الأحيان، والطريق الآخر هو الطريق الشعبي الذي ترعاه الكنائس الأرثوذكسية وهي الكنائس المسيطرة في روسيا التي تشترى السلاح من السوق السوداء، ومن العصابات ومن

مستودعات الجيش أحيانًا، بأموال تأتي من أمريكا وأوربا أو من روسيا نفسها، وأثناء زيارتي أقيم احتفال للنصارى الأرثوذكس في موسكو في كنائس الميدان الأحمر نقل على الهواء مباشرة في محطات التلفزيون، بارك فيه القسس، والخطباء أعمال الصرب وأعلنوا فيه صراحة دعمهم وتأييدهم للصرب في إبادتهم للمسلمين اليوغسلاف، كما أنه من المعروف أن هناك الآلاف من المتطوعين الروس منخرطين للقتال مع الصرب، وهم أهل خبرة عسكرية لا يستهان بها.

قضية أخرى تشغل بال القلة من المسلمين ـ مع الأسف ـ، حيث لم تنل حظها من الإعلام العالمي المتظاهر بالدفاع عن حقوق الإنسان أيام الصراع في أفغانستان هذه القضية هي ما يجري للمسلمين في طاجاكستان، فلقد قام صراع بين الشيوعيين القدماء في البلد، وبين أهل البلد الغيورين من المسلمين ومن الرافضين للشيوعية، وكاد المسلمون ومن يؤيدهم أن يسيطروا على الوضع في تلك البلاد، وانضم إليهم الناس والمسؤولين وبعض القوات العسكرية وكاد الأمر أن ينتهي بسلام، وأن تنتهي الشيوعية من طاجاكستان كما انتهت ظاهريًا من روسيا، فإذا بالروس يتدخلون بكل قوتهم لضرب الطاجيك وتدمير بلادهم وقتل رجالهم، في مذابح وحشية لم نرى لها ذكر في الإعلام

العالمي، كما قام الروس بإعادة القوة والسلطة إلى القوى الشيوعية فيها، في الوقت الذي تتظاهر روسيا بأنها تخلت عن الشيوعية، وأنها أصبحت من أعداءها، وأنها تحمل راية الخلاص منها.

القضية الرابعة هي اليقظة الإسلامية في روسيا والجمهوريات، مما لا شك فيه أن الانفتاح الروسي على العالم قد حمل معه انفتاح المسلمين الذين يزيدون عن عشرين مليون داخل روسيا، وستين مليونًا في بقية الجمهوريات على العالم الإسلامي، وتسعى روسيا بكل جهدها للتحكم على هذا الانفتاح والسيطرة على المسلمين وتوجيه هذا الانفتاح أو إغلاقه، فهي ما تزال تدعم طبقة رجال الدين والمفتين الذين نصبوا على المسلمين من أيام الشيوعية، والذين يرتبطون بطريقة أو أخرى بالاستخبارات الروسية، وكثير منهم بعيدون عن الإسلام وتعاليمه، ولذلك فإنها تحاول دعمهم ليصعب التعامل معهم من قبل المسلمين في داخل روسيا ودولها، وليصعب التعامل معهم من قبل المسلمين من البلاد الأخرى الذين يحاولون مد أولئك، ولكي يسيطر أولئك على محاولات المسلمين الضعيفة في تلك البلاد للتحرك نحو الإسلام، ويدفعونهم إلى صِدَام نتائجه واضحة، والذي يظهر أن هناك تنسيق روسي غربي قوي في هذا المجال، في محاولة للسيطرة على المسلمين في

الجمهوريات في انفتاحهم على العالم الإسلامي، بل أن هذا التنسيق قد دخلت فيه على ما يبدو بعض الدول العربية والإسلامية بتوجيه مباشر من أمريكا، وبدعم مالي منها، لكي تقطع الطريق على التيارات الأصولية بزعمها، وهي العدو اللدود للغرب كما يرون، مع أن تلك التيارات تتهم بعمالتها للغرب في عقليات القوميين العرب.

ومع كل ما يجري فإن الروس يحاولون التظاهر حاليًا بأنهم حياديين ولا يفرقون بين الأديان، ولا يتدخلون في مصالح الغير ويرعون حقوق الإنسان وشركاء في النظام العالمي الجديد، إلى غير ذلك من الشعارات التي استنسخوها مما يردده الغربيون حيث يحاولون أن يظهروا بنفس مظهرهم وهو مظهر فقط من الطرفين. وهنا أذكر موقفًا حدث قبل عدة أشهر، حيث كنا في اجتماع مع أحد المستشرقين الروس المختصين بالشرق الأوسط أثناء زيارته للملكة العربية السعودية، حيث كان يحدثنا بغباء أن الروس كانوا أصدقاء للعرب قبل الشيوعية وزمن القيصرية الروسية، وأثناء الحكم الشيوعي، وأن الروس كما يقول: يمدون أيديهم مرة أخرى للعالم العربي بعد سقوط الشيوعية وحكم البروستاريكا، في عهدها الجديد، فرد عليه أحد الزملاء الحاضرين، وهو متخصص في التاريخ الحديث بين العالم

الإسلامي والعالم الأوربي، قائلاً له: يا دكتور آمل أن لا تكون العلاقات الجديدة التي تتحدث عنها بنفس الطريقة السابقة التي كلنا نعرفها وأنت أول الناس معرفة بها، ثم واصل الحديث قائلاً: أنت تعرف أن العالم العربي وشعوبه معلقة بالإسلام، وبالتالي فإن أي تصرف من الروس مع المسلمين في أي مكان له تأثيره على العالم العربي على الأقل على المستوى الشعبي، ونحن نعرف العلاقات مع الروس منذ أيام الدولة العثمانية، وأمر الحرب العثمانية الروسية لا تخفى على أحد حيث أبيد الملايين من المسلمين في أوربا الشرقية على يد الإمبراطورية الروسية في أوائل هذا القرن، كما أنك تزعم إنكم أصدقاؤنا في العهد الشيوعي السابق، فأي صداقة كانت وما ذا جلبتم لنا في عالمنا العربي، لقد جلبتم معكم الأفكار الشيوعية، والثورات والانقلابات العسكرية والتأميمات، حيث قتل لنا فيها آلاف الرجال ودمرت فيها اقتصاديات العالم العربي، وأبيد رجاله ونسائه بمباركة منكم حيث لم تقصروا حتى في بعث خبراء التعذيب للحُكَام الاشتراكيين العرب، ناهيك عن الخبرات في مجال المباحث والاستخبارات حتى ما عاد الرجل يأمن زوجته على نفسه، وما المذابح التي حدثت في عدن بين من يحملون أفكاركم عنا ببعيد، ثم استأنف صاحبي كلامه الموجه للمستشرق الروسي: بأننا نحن

المسلمين العرب لن ننسى ما فعلتم في إخواننا في أفغانستان، وأردف قائلاً: أما الآن في ظل نظامكم الجديد والذي تزعمون إنكم تخلصتم منها، ما الذي تفعلونه الآن مع إخواننا في البوسنة والهرسك، ألم تهددوا بحق الفيتو في مجلس الأمن كلما حاولت بعض الدول اتخاذ قرار بالسماح بدخول السلاح للمسلمين ليدافعوا عن أنفسهم، وتابع صاحبي قائلاً للمستشرق الروسي: ومع كل ما ذكرته لك وما لم أذكره فإن العرب وهم مسلمون قبل كل شيء مستعدون أن يمدوا أيديهم لكل من يتعامل معهم بالحق ودون استغفال واعتداء وحقائق التاريخ لا تنسى، فعليكم في سياستكم وأنت ممن يرسمونها في الشرق الأوسط، أن لا تغفلوا عن هذه الحقائق وأن تعلموا أنها موجودة في عالمنا العربي ولو على المستوى الشعبي إذا عدمت على المستوى الرسمي.

أثارت هذه الصراحة إعجاب ذلك المستشرق الروسي وإن لم يصرح بذلك مباشرة.

وأعود بكم إلى أول الحديث، وهو أن الروس بأوضاعهم القديمة والجديدة كانوا في صف المواجه ضد الإسلام داخل روسيا نفسها، وفيما جاورها وفيما بعد عنها، ومع ذلك فإن وضع المسلمين داخلها في الوقت الحالي وحتى كتابة هذه الأسطر، أفضل من السابق إذا استمرت الأوضاع في التحسن ولم تحدث

انتكاسة إلى الوراء، نسأل الله أن يسلم، وهو وحده المستعان.

روسيا بين عهدين*

يسر الله لي قبل عدة أسابيع أن كنت في زيارة إلى روسيا وبعض الجمهوريات فيما كان يعرف سابقًا بالاتحاد السوفيتي أو(دول الكومنولث) كما تسمى حاليًا، وقد خرجت خلال تلك الزيارات ببعض الانطباعات عن أحوال تلك الدول والتغيرات التي جرت فيها بعد انهيار الشيوعية والتي ما زالت تجري إلى اليوم وقد تستمر لفترة من السنوات، الله أعلم بنهايتها.

كلنا نعلم أن الشيوعية حكمت روسيا والمناطق الخاضعة لها بالقوة مدة سبعين عامًا تقريبًا، حكمت بالحديد والنار، وجعلت همها الأول بناء القوة العسكرية، حيث ظلت لعدة سنوات تهدد بها مختلف شعوب العالم، بل ومارست ضرب بعض الشعوب كما حدث في تشيكوسلوفاكيا، وبولندا، وأفغانستان، وألمانيا الشرقية وغيرها، كما أن الشيوعية أجبرت شعوبها على الخضوع لها، عقيدة وفكرًا وسياسة وحكمًا وتشريعًا، وتدخلت في أبسط أمور الناس الخاصة، بل أن شعوبًا بكاملها لم يكن لها حق

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

البقاء في مواطنها، حيث هجر الملايين من المسلمين من الأوزبك، والتتار، والداغستان، والقرغيز، وغيرهم من مناطقهم الأصلية إلى روسيا نفسها لكي تذوب شخصيتهم وهويتهم في الهوية الروسية، كما هجر الملايين من الروس إلى تلك المناطق للهدف نفسه، ولذلك فإن الأوضاع على المستوى الشعبي والسكاني في تلك الجمهوريات وفي روسيا نفسها معقدة إلى حد كبير وهي أشد تعقيدًا من الأوضاع في يوغسلافيا أو غيرها من المناطق التي تشهد الآن صراعات وحروب بسبب التباين الديني والعرقي، ولذلك فهناك إمكانية لنشوب حروب وصراعات بين المسلمين والروس في تلك المناطق والجمهوريات، أو بين أي شعب من تلك الشعوب والشعوب الأخرى، بنفس الصورة التي حدثت وتحدث الآن بين الأذربيجانيين والأرمن، وهذا الأمر وارد، لو حدث فلن يكون مقتصرًا على منطقة دون الأخرى، إذ أن كل جمهورية من تلك الجمهوريات قد وطن الشيوعيون ملايين الروس داخلها، كما وطنوا مليون مسلم داخل جمهورية روسيا الاتحادية يشكلون أقلية فيها ويحتمل أن يتعرضوا للاضطهاد أو الإبادة، ولكن لو حصل لهم ذلك فسيتعرض الملايين من الروس في كازاخستان أو أوزبكستان ذات الأغلبية المسلمة لما يتعرض له المسلمون داخل روسيا وخصوصًا أن المسلمين في الجمهوريات الإسلامية يمتلكون

مختلف الأسلحة بما في ذلك الأسلحة النووية في كازاخستان وغيرها من الجمهوريات الإسلامية.

ولعل مما حاولت الخروج به خلال تلك الزيارة الإجابة على الاستفهام الكبير الذي يتردد في العالم هل انتهت الشيوعية حقًا؟، أم يمكن أن تعود إلى الحياة من جديد لتهدد العالم، والواقع أن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة، فالغرب وبعض المتابعين لوسائل الإعلام فيه يظنون أن الأمر قد انتهى، وأن الاتحاد السوفيتي قد مات وقبر مع تحفظ بعضهم الآخر، ومع ذلك فقد أصبحت الجمهوريات التي كانت تشكل ذلك الاتحاد موضع تنافس من قبل الدول الغربية، في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة، كل يريد أن يكون له وجود ونصيب في ذلك الكيان الذي يخيّل إليهم أنه منهار.

والحقيقة أن الأمور لا تزال غامضة وأن تحت الرماد جمر ونار كما يقال والأيام تكشفها.

فالأوضاع لا يمكن الاطمئنان إليها بهذه السهولة، ففي المجال السياسي نجد أن رجال الشيوعية، وكوادر أحزابها السابقة هي المسيطرة على الحكم في مختلف أنحاء الاتحاد السابق، وأن الرجال هم الرجال، إلا أن العديد منهم ألقوا الشعارات الشيوعية

وراء ظهورهم وحملوا شعارات جديدة استوردوها من الغرب أو من هنا وهناك، كالديمقراطية، والوطنية، وغير ذلك من اللافتات التي يظهرونها داخل تلك الدول، كما أصبح عندهم انفتاح على العالم إلى حد ما، ونفس الأشخاص الذين يديرون تلك البلاد واقعيًا هم الذين ساموا الناس أنواع العذاب باسم الشيوعية، ولا تزال لهم ممارسات في كثير من الجمهوريات أسوء من ممارسات الحكم الشيوعي السابق، ويحظون بالدعم الكامل من حكام موسكو الذين يتظاهرون بحرب الشيوعية، فممارسة الروس والشيوعيين في طاجاكستان في الأشهر الماضية وهذه الأيام هي أسوء مما حدث من الروس في أفغانستان زمان الشيوعية، إلا أن الذي يحصل الآن لا يستحق الحديث عنه في الإعلام الغربي والعالمي لأن الغرب يخطب ود جمهورية روسيا الاتحادية وواشنطن تتغزل بموسكو، ولذلك فإن موقوف الحكومات في دول الكومنولث مع بعضها البعض باستمرار يدل على أن روابطهم الشيوعية القديمة لا تزال قوية وهذا أمر طبيعي إذ أنه ليس من السهولة أن تنتهي بهذه البساطة كما يتخيل البعض فالبنية التحتية لتلك الدول لم تتغير كثيرًا بعد.

ولعل تلك الحكومات مجبرة على الترابط والتعاون الذي لا مناص منه، حيث أن الأمور الاقتصادية والصناعات في العهد

الشيوعي السابق قد وزعت على الجمهوريات بحيث يصعب الانفصال بينها وإلاَّ لإنتهت تلك الصناعات والأنشطة الاقتصادية الأخرى، فعلي سبيل المثال صناعة الطائرات أو السيارات نجد أن مصنع التجميع لها في مدينة من المدن، ولكن القطع المختلفة للطائرة أو السيارة تصنع في مختلف الجمهوريات، في مدن عديدة متناثرة، ولذلك فإن كل الجمهوريات يجب أن تتعاون فيما بينها، وأن تتحمل بعضها لكي تستمر تلك الصناعة، وقد تجرأت جمهورية قرغيزيا قبل شهرين على إصدار عملة خاصة بها، دون تنسيق مسبق مع بقية الجمهوريات ومع روسيا، ولذلك فقد قطع عنها الوقود وتعطلت مطاراتها، وكل دولة من تلك الجمهوريات تخشى أن تبتعد قليلاً عن الصف فتعاقب من روسيا بطريقة أو أخرى.

أوربا والصرب ١ـ٢*

مشكلة المسلمين في البوسنة مشكلة كبرى، يعيشها العالم أجمع، ويعلق المسلمون على أوربا والغرب وعلى هيئة الأمم المتحدة آمالاً عريضة في تخليص المسلمين المظلومين هناك مما يقع عليهم، على مرأى ومسمع من العالم وحماة النظام العالمي الجديد، أو(الفوضى العالمية) إن صح التعبير خصوصًا إذا نظرنا ونظرنا وأمعنا النظر لما يجري لمسلمي البوسنة، رغم دعاوى النظام المتكررة في العالم من هيئة الأمم ومن الأمم المالكة للهيئة، والمسلمون ـ مع الأسف الشديد ـ لا يعرفون التاريخ، وإلاَّ استشعروا أن الصرب وأوروبا وجهان لعملة واحدة في نظرتهم لمسلمي البوسنة، ففي وقت منع السلاح عن المقتولين من المسلمين في البوسنة حتى لا يدافعوا عن أنفسهم وبقرار من الأمم المتحدة، تنصب الأسلحة المختلفة من أوروبا عمومًا، ومن شرق أوروبا خصوصًا وبالذات روسيا عن طريق اليونان وغيرها، ولقد قرأت قبل أيام بعض أحداث الماضي بين المسلمين والصرب في تلك

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

المنطقة منطقة البلقان(يوغسلافيا وما حولها)، ولعلي أن أذكر شيئًا من تلك الأحداث السابقة لنربطها بواقع الأحداث في هذه الأيام، لنعلم الموقف الأوروبي السابق من المسلمين في أوربا، وامتداده بصور مختلفة في هذه الأيام وخصوصًا في البوسنة.

كان للدولة العثمانية وللمسلمين وجود في البلقان منذ القرن الثامن الهجري، وفي أيام السلطان مراد كان يحاول الوقوف مع المسلمين في البلقان بنفسه أو عن طريق قواده ضد الأعداء، مما أثار الصرب فحاولوا في أكثر من مرة استغلال غياب السلطان عن أوروبا في الهجوم على الجيوش العثمانية والمحالفين لها في البلقان وما جاورها، ولكنهم لم ينجحوا في زحزحة العثمانيين عن مواقعهم، رغم القتال المتكرر بينهم في العديد من الأماكن، فأعد الصرب والبلغار جيشًا أوربيًا كثيفًا لحرب السلطان، الذي كان قد وصل بجيوشه بعد إعدادها إعدادًا قويًا إلى منطقة كوسوفو في البلقان، وكان يرافق السلطان مجموعة كبيرة من الأمراء والقواد المسلمين، وفي ليلة المعركة كان الظلام شديدًا، وهبت رياح قوية أثارت الغبار في كل مكان وكادت أن تسبب الإرباك في الجيش العثماني الذي كان يعد الترتيبات رغم الظلام، وقد سُمع السلطان مراد في تلك الليلة رافعًا يديه بالدعاء إلى الله وهو يقول: (يا الله يا رحيم يا رب السموات يا من تتقبل

الدعاء لا تخزني يا رحمن يا رحيم استجب دعاء عبدك الفقير..... ليس من عناية لنفسي ولا مصلحة ولا يحملني طلب المغنم فأنا لا أطمع إلا في رضاك بإخلاص يا الله يا عليم... لا تجعلني سببًا في موتهم بل أجعلهم من المنتصرين.. إني وددت ولا زلت دومًا أبغي الاستشهاد من أجل جند الإسلام، فلا تريني يا الهي محنتهم وأسمح لي يا الهي هذه المرة إن استشهد في سبيلك ومن أجل مرضاتك..)[١] كان هذا الدعاء ينم عن شخصية السلطان مراد، وطموحه للشهادة، ورغبته الصادقة في انتصار المسلمين على أعدائهم.

وفي صباح يوم٢٠ حزيران ١٣٨٩م وقعت معركة(قوصوه)[٢] حيث التقى المسلمون مع أعدائهم من الصرب وحلفائهم الأوروبيين في معركة حامية وشديدة استمرت ثماني ساعات شارك السلطان فيها بنفسه، واشتد القتال بين الجيشين وقاتل الصربيون قتال الأبطال وبقيت الحرب بينهما سجالاً مدة من الزمن(تناثرت فيها الرؤوس وزهقت النفوس) وفي أثناء المعركة انضم أحد قواد

(١ انظر: القرحاني، **تاريخ سلاطين آل عثمان**، ص١٦. يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة الثمانية**، ص١٠٠.

(٢ انظر: القرحاني، **تاريخ سلاطين آل عثمان**، ص١٦. يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة الثمانية**، ص١٠٠.

الصرب بجموع قدرت بعشرة آلاف مقاتل إلى صفوف العثمانيين، مما كان له أبلغ الأثر في انتصارهم وإيقاع الهزيمة بالأعداء، وفي نهاية المعركة كان السلطان يدور بنفسه بين صفوف القتلى من المسلمين ويدعو لهم كما كان يتفقد الجرحى، وفي أثناء ذلك قام جندي من الصرب كان قد تظاهر بالموت وأسرع نحو السلطان فتمكن الحراس من القبض عليه ولكنه تظاهر بأنه جاء يريد محادثة السلطان ويريد أن يعلن إسلامه على يديه، وعند ذلك أشار السلطان للحرس بأن يطلقوه فتظاهر بأنه يريد تقبيل يد السلطان وقام بحركة سريعة بإخراج خنجر مسموم طعن به السلطان فاستشهد ـ رحمه الله ـ في١٥ شعبان٧٩١هـ وكان آخر كلام السلطان: (لا يسعني حين رحيلي إلا أن أشكر الله أنه علام الغيوب المتقبل دعاء الفقير، أشهد أن لا إله إلا الله، وليس يستحق الشكر والثناء إلا هو... لا تعذبوا الأسرى ولا تؤذوهم ولا تسلبوه...)[٥] ولم يصدق الحرس ما جرى ولم يتمكنوا من عمل أي شيء حيث كانت حركة الغادر سريعة جدًا. ومع استشهاد السلطان فإن انتصار المسلمين في هذه المعركة قد هيأ للعثمانيين بعد ذلك حكم البلقان لعدة لقرون لاحقة، صارعوا فيها مختلف

(٢ للمزيد من التوسع حول الموضوع، راجع: على حسون، **العثمانيون والبلقان**، ص٥٢.

القوى الأوروبية، كان الإسلام ينتشر خلالها بين الأوروبيين الشرقيين مما جعل أوربا الغربية تتخذ موقفًا معاديًا من الدولة العثمانية وتحاول القضاء عليها، عبر تاريخها الطويل،[1] وقد نجحت في ذلك في الحرب العالمية الأولى، ومن ثم أصبح المسلمون في شرق أوربا ينظر لهم على أنهم من بقايا الأعداء العثمانيين، وعلى رأس هؤلاء مسلمي البوسنة الذين هم سكان أصليون في البلقان وعرفوا بهذا الاسم قبل إسلامهم وظلوا يحملونه، ولكن نظرة أوربا إليهم بعد إسلامهم كانت نظرة العداء ولذلك فإن موقف الدول الأوروبية من أحداث البوسنة هذه الأيام ليس غريبًا لمن يقرأ التاريخ، وقد تحدثت تقارير صحفية قبل أيام كما تحدث شهود عيان قادمون من المنطقة عن دور قذر يلعبه بعض جنود الأمم المتحدة المنتسبون إلى بعض الدول الأوروبية الغربية، من اغتصاب ومساعدة للصرب، إلى غير ذلك من الأمور التي قد لا تقل قسوة عن أعمال الصرب أنفسهم، لكن هذه التقارير الصحفية ظهرت ثم اختفت فجأة لئلا تذكر الناس بتاريخهم السابق، وأعود للتأكيد على قراءة تاريخ المنطقة لنعرف الأدوار السابقة التي قاموا بها لنعلم أن مواقفهم الحالية ضد مسلمي البوسنة ليست إلا

---

(١) للمزيد من التوسع حول الموضوع، راجع: على حسون، **العثمانيون والبلقان**، ص٥٢.

امتدادًا تاريخيًا لما قاموا به ضد المسلمين سابقًا، فهم في الظاهر يدعون لحرية الأديان والعقيدة، وفي الباطن يرون أن لا مكان للإسلام والمسلمين على قارتهم ولو كانوا أوربيين أصلاً كحال أهل البوسنة، فأوروبا والصرب كانت وما زالت في خندق واحد مهما تظاهروا بأمور أخرى، والله المستعان.

أوربا والصرب ٢ـ٢*

تحدثت في مقال سابق عن علاقة أوربا بالصرب وتعاونهم معها في عدائها للمسلمين، وحاولت أن أعطي خلفية تاريخية عن هذه العلاقة، لكي نرى الترابط التاريخي الموجود سابقًا بين الصرب والأوروبيين عمومًا في ضرب الأوروبيين المسلمين، الذين انتشر بينهم الإسلام في العصور العثمانية، وقد تحدثت في ذلك المقال عن معركة (قره صو)، وأواصل الحديث اليوم عن علاقة البلقان بالإسلام وعلاقة أوروبا بمسلمي البلقان في البوسنة وغيرها ومواقفهم السابقة مع الصرب في ضرب المسلمين.

بعد وفاة السلطان العثماني مراد تولى من بعده ابنه يزيد الذي تمكن من ضم بلغاريا ورومانيا وسالونيك وألبانيا إلى الدولة العثمانية، كما شكل ضغطًا قويًا على القسطنطينية العدو التقليدي للعثمانيين، وحاول إسقاطها ولكنه لم ينجح في ذلك. وقد كان لهذه المحاولة دورها الكبير في إثارة البابوية والدول الأوروبية واستعدائها على الدولة العثمانية وزاد من ذلك استنجاد

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

ملك المجر بهم، وأعلنت حرب دينية صليبية ضد الدولة العثمانية، واستجابت لذلك أوربا الغربية وعلى رأسها فرنسا وولاياتها المتعددة وبعض مناطق ألمانيا وسويسرا وردوس وإيطاليا، وأعدّ لذلك جيش أوربي موحد كان فيه ستين ألف جندي مجري، وعشرة آلاف جندي فرنسي والبقية من الدول المذكورة سابقًا إضافة إلى الصرب، هدفهم إخراج العثمانيين من البلقان وأوربا وطردهم إلى آسيا وتوجه الجيش إلى مدينة(نيكو بولي) وكانت من أهم المدن العثمانية في أوربا في تلك الفترة وبها حامية عثمانية قوية(وهي حاليًا في شمال بلغاريا وعلى حدودها مع رومانيا) وتمكن الأوربيون من عبور نهر الدانوب وحصار المدينة، فصمد من بها من قوات المسلمين صمود الأبطال، وكان السلطان بايزيد منشغلاً في الأناضول وما أن علم بتحرك الجيوش الأوربية حتى أعد جيشًا ضخمًا من العثمانيين والموالين لهم من شعوب أوربا النصرانية كالصرب والبلغار وغيرهم قدر بمئتي ألف مقاتل، وتوجه بهم إلى(نيكوبلي) المحاصرة فلما وصل السلطان ومن معه إلى البلدة المحاصرة اشعروا من بها من المسلمين بوصولهم ليلاً، وفي صباح اليوم التالي وقعت معركة حامية الوطيس بين الجيوش العثمانية والجيوش الأوربية وذلك في٢٣ من ذي القعدة سن ٧٩٨هـ الموافق٢٧ من سبتمبر ١٣٩٦م، كانت نتيجة المعركة انتصار

الجيش العثماني على التحالف الأوروبي مجتمعًا وأُسرَ أُناس من زعمائهم وخصوصًا من القواد والأمراء الفرنسيين بلغ عددهم(٢٧) أميرًا، كما غنم العثمانيون راية الفرنسيين الكبرى، وقتل أغلبية جنودهم ولم ينج من الجيش الأوروبي المقدر عدده بـ(١٣٠) ألف جندي سوى قرابة عشرين ألفًا، أما البقية فكانوا إما أسرى أو قتلى في المعركة، وقد قام السلطان بإطلاق الكونت الفرنسي(دي نيفر) بعد أن أقسم أن لا يعود هو ولا بلاده لحرب المسلمين مرة أخرى، ومع ذلك فقد هدده السلطان بايزيد بأنه على استعداد لحرب أمم أوربا كلها إن أرادت ذلك.[٢]

وهكذا فإن الدول الأوروبية لم تنس المواقف العثمانية في البلقان فخاضت معارك عديدة سابقة حتى أسقطتها، وحاولت محو آثارها، وقتال الصرب والكروات الحالي ضد مسلمي البوسنة ما هو إلا امتداد وبقية للصراع التاريخي القديم في تلك المنطقة بين المسلمين في العهد العثماني وبين الأوربيين، ولذلك فلا غرابة أن تعارض أوربا بكل صرامة إمداد المسلمين البوسنيين بالسلاح ليدافعوا عن أنفسهم، في الوقت الذي تصل الأسلحة والمتطوعين من مختلف أنحاء أوروبا للمشاركة في ذبح المسلمين

---

(٢) راجع: محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العثمانية**، ص١٤. عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة مفترى عليها**، ج١، ص٤١٤.

وإجلائهم، كما لا غرابة أن ينشغل العالم بإيصال المعونات الغذائية للمسلمين ويركز عليها إعلاميًا بينما لا يقوم بإيقاف المذابح التي تجري لهم، فليس هناك فرق أن يقتل الإنسان جائعًا أو شبعانًا فهو مقتول في الحالين، والله المستعان.

شمال إفريقيا والمغرب العربي والإسلام ١ـ٢*

المغرب العربي بدوله المختلفة جزء لا يتجزأ من العالم العربي والإسلامي يرتبط به تاريخيًا ودينيًا واقتصاديًا وجغرافيًا ولغويًا وبشريًا، تعرض هذا الجزء للاستعمار والتغريب وشهد من صنوف العذاب والاضطهاد على يد الاستعمار الأوربي ما لم يشهده أي جزء آخر من العالم العربي، وقد قدر لي قبل فترة زيارة كل من تونس والمغرب وهي من الأجزاء الغالية في ذلك الوطن الكبير، فكنت من خلال الزيارة أتنسم عبير القرون الأولى للإسلام في تلك المناطق، أذكر جيوش الفتح الأولى التي حملت هوية الإسلام إلى أهل تلك المنطقة والتي صبغت المنطقة بصبغة ظلت معها طوال القرون الخالية وعجز الاستعمار وأبنائه ومن تطبعوا بطبعه أن يمحوها، لقد كانت تلك الهوية العربية الإسلامية ولا تزال تضرب بأطنابها في تلك الأصقاع رغم الأمراض والأعراض الكثيرة التي تعرض لها.

كانت لي زيارة لمدينة القيروان تخيلت خلالها الفاتح عقبة بن

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

نافع ـ رحمه الله ـ وهو الذي بنى تلك المدينة في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٥١هـ، حيث جعلها موطنًا للمسلمين ونبراسًا للحضارة ومقرًا للتوحيد، وكانت الأخطار تحدق به من كل جانب ولذلك فأنه ـ رحمه الله ـ اتخذ لها موقعًا فريدًا يحس به كل من يزور المدينة اختار لها موقعًا بعيدًا عن البحر حتى لا يغزوها الروم بأساطيلهم، وبعيدًا عن الجبال حتى لا تفاجئه البربر بجيوشهم، واختار لها مكانًا سهلاً يصلح لإبلهم وكأنه يتمثل قول عمر ﷺ عنه أنه لا يصلح للعرب إلا ما يصلح لإبلهم، رحم الله عقبة حين فتح تلك البلاد ووصل إلى ضفاف الأطلسي وقال كلمته المشهورة، (والله لو أعلم أن وراء هذا البحر أرض يذكر فيها اسم الله لخضت هذا البحر مجاهدًا في سبيل الله ومعليًا لكلمته).[1]

في شوارع القيروان وأزقتها العتيقة، أو(الزنقات) كما يسميها أهلها، تشم رائحة التاريخ وتستنشق معه ذكرى الأوائل، في جامعها الكبير تتذكر العلماء الذين نشروا المذهب المالكي في تلك البقاع من أمثال الشيخ(سحنون)[2] وغيره ممن كانت لهم دروس في ذلك الجامع الكبير والمنارات التي أضاءت للمسلمين في شمال إفريقيا، بل وجهادهم من أجل الصعود به إلى أوربا من خلال

(١) انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج٤، ص١٠٦.
(٢) انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج٤، ص١٠٦.

جزر البحر الأبيض المتوسط، ومن خلال أساطيلهم في البحر ولا يفوتك أن تتذكر أسد بن الفرات ـ رحمه الله ـ [١] وهو قاضي القيروان الذي قاد بنفسه المجاهدين المسلمين في غزوهم لجزيرة صقلية حيث تمكن من فتحها ومد فيها للإسلام أرضًا وبسط مكانًا وأعلى سلطانًا. [٢]

أما تونس العاصمة فلها مكانتها الخاصة بأزقتها القديمة وصناعاتها التقليدية ومساجدها العتيقة، لكنك في العاصمة تجد صراعًا للهوية وصراعًا لغويًا يتركز ويتجدد في حياة الناس، فأنت في أحيان كثيرة تحس أنك في باريس من خلال حديث الناس حيث تكاد تختفي اللغة العربية في بعض الأماكن وأحيانًا أخرى يختفي هذا الشعور حيث تلاحظ تمسك الناس بعربيتهم وبهويتهم، لكن هذا الصراع قوي وعلى أشده ويحتل حيزًا كبيرًا في مختلف الهوايات، فرغم خروج الاستعمار ورغم جهود التعريب وجهود المحافظة على الهوية، إلا أن هناك جهودًا أخرى مضادة تحاول المحافظة على التغريب وهي وإن لم تكن جهودًا رسمية بوضوح فهي جهود مؤثرة وقد يكون بعضها عفويًا وبعضها مرتبًا لكنها

---

(١) انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج٤، ص١٠٦.
(٢) انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٢٣٧. ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص٣٢٠.

في النهاية تؤدي إلى مزيد من الربط وبقوة بالثقافة الفرنسية على وجه الخصوص وهذا بالطبع على حساب الثقافة العربية والإسلامية، والفرنسية الأوربية تشاهدها في كل مكان وتواجهك في كل موقع وتطاردك في كل بقعة، نسأل الله لتلك البلاد كل خير وأن تظل جوهرة في عقد الإسلام وموطنًا للعربية، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

شمال إفريقيا والمغرب العربي والإسلام ٢ـ٢*

تحدثت في مقال سابق عن شمال إفريقيا وبلاد المغرب العربي إثر زيارتي لبعض دولها خلال صيف هذا العام ١٤١٦هـ، وقد تحدثت في ذلك المقال عن تونس أحد معاقل الإسلام والعربية وبوابته الأولى إلى إفريقيا، وفي هذا المقال أتحدث عن بلاد المغرب الأقصى أو المملكة المغربية، وهي أحد البلاد العربية الإسلامية منذ أواخر القرن الأول الهجري.

كل زائر للمغرب لابد أن يتذكر التاريخ ويعيش التاريخ ويعيه، كل مدينة مغربية تذكرك بماضيها المجيد في القرون الإسلامية الأولى في المساهمة في نشر الإسلام، وفي مراكز الحضارة الإسلامية في تلك المنطقة، والتي كانت في فترة من الفترات تتبادل العشق والمحبة والعلوم والحضارة مع بلاد الأندلس، وبالتالي فإنك ما أن تحل ببلاد المغرب حتى تتذكر الأندلس وتشم ريحها وتستنشق عبيرها، تتذكر عبد الرحمن الناصر، وكيف كان ملوك أوربا يتذللون إليه ويخضعون له ولأمة الإسلام ليأمر بما يشاء

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

ويعين من ملوكهم من يشاء ويعزل من يريد بعكس أيام العصر العربي تمامًا.

الزائر للمغرب لابد أن يمر بـ(فاس) مدينة العلوم والثقافة وقاعدة العلماء والمحدثين والقراء، ما أن تدخل في أزقتها القديمة حتى تنسى أنك في عصر الطائرات وتتذكر أيام الهدوء قرون السلام عصر الدواب والبيئة النظيفة والترابط والمجتمع الواحد، تحس أنك في القرن الثاني أو الثالث الهجري حيث الأصالة والمحافظة على التراث وحلقات العلم ومدارس القرآن لا تزال قائمة إلى اليوم تقاوم رغم كل الضربات الموجعة التي حملها لها العصر الحديث وأدواته المادية والبشرية.

أما جارتها(مكناس) فمساجدها العريقة وأسوارها العتيقة تشعرك بأن الخوف من أعداء العرب والمسلمين كان هاجس أهلها على مر الزمن، ولذلك نجحوا في القدم في التصدي للأعداء الخارجين، ونجحوا في العبور بمدينة(مكناس) بعيدًا عن أمواج الحملات الأسبانية والبرتغالية، التي لم يرُدَّها في تلك الفترة سوى القوة والجهاد.

أما الزائر لمدينة مراكش فيرى صفحة حية من تاريخ المرابطين والموحدين الذين أنقذوا الأندلس من أيدي الأسبان، وزرعوا أرض

أفريقيا بالإسلام والسلام، مدينة مراكش الحمراء مدينة ذات طابع مميزًا بألوان خاصة لكن لونها التاريخي ودورها الحضاري هو أهم ألوانها التي لا تتمحي والتي يؤصلها سورها الذي تراه في كل زواياها المختلفة.

أما الدار البيضاء فمدينة بحرية جميلة لكنها مدينة صراع بين الهويات فأنت ترى فيها الوجه الشعبي المغربي المرتبط بتراثه وإسلامه، وترى فيها الوجه المستغرب بكل ما في الكلمة من معنى، ترى فيها الصراع على أشده بين التراث والأصالة وبين التحديث المقلد للقيم الغربية، هذه المدينة هي من أكثر المدن العربية تعرضًا للقسوة والوحشية على يد الاستعمار الفرنسي في الثلاثينيات من العشرين، حين دمر مساكن المدينة من البحر وأباد جموعًا كبيرة من أهلها، ومع هذا ترى المقلدين للفرنسيين ولتقاليدهم كثر ناسين حملة الدمار تلك، وأن دارهم البيضاء سبق أن لطخت بدماء الأبرياء الحمراء على أيدي الفرنسيين.

أما مدينة الرباط ـ رباط الفتح ـ فتذكرك بالفتح والقوة أيام التصدي للأسبان في اكتساحهم وهجومهم على العالم العربي والإسلامي تذكرك بالجهاد ضد الفرنسيين أيام الاستعمار، تذكرك بسطوة الإسلام في البر والبحر ونفوذه عبر التاريخ.

المغرب العربي تاريخ يتكلم، لكنه أحيانًا ينطق بالعربية وأحيانًا ينطق بالفرنسية، يتكلم ليقول إن في أحشائي صراع حضارتين وهويتين، حضارة المسلمين فيه من عرب وبربر ذات جذور وتاريخ وحضارة المستغربين الذين يحاولون أن يمحو كل أثر للتاريخ وللهوية وللأصالة لكن بهدوء وذكاء فيا ترى أي الحضارتين أصمد وأبقى، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

النــوبة*

النوبـة في أصـل اللغـة العربيـة مجموعـات النحـل الـتي ترعـى في الحقول ثم (تنوب) أي تعـود إلى مواقعهـا ، ويخلـط المؤرخـون الأوائـل النوبة بالحبشة في التسمية ، فهم يسمون كل ما يقع جنـوب أسـوان في مصـر بـلاد الحبشـة ويـدخلون في ذلـك النوبـة والسـودان ومـا يقـع جنوب ذلك.(١)

ويقولـون عنهـا بـلاد واسـعة في مصـر جنـوب أسـوان واشـتهرت بثرواتهـا الحيوانيـة مـن البقـر والغنـم والإبـل والخيـل الجيـدة(العِتَّاق) واشـتهر أهلـها برمـي النبـل والبراعـة فيـه ، وقـد كانـت موطنًـا للنصرانية قبل الإسلام وامتدح المسلمون أهلها رغم مخالفتهم لهم في الدين ، وذكـروا أن لديهم عـادات وتقاليـد تشـابه بعـض مـا لـدى المسلمين من تعاليم ، فقد كانوا قبل إسلامهم لا يطئون النسـاء في

* نُشـر هـذا المقـال في **صـحيفة الشـمندرة** التابعـة للجاليـة النبويـة بالولايـات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٣م.

(١) انظر: ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، ج٥ ، ص٣٠٩.

الحيض، ويغتسلون من الجنابة، ويختتنون وهذه الأمور لم تكن موجودة عند غيرهم من النصارى وقد عرف أناس من أهل النوبة الإسلام في عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين وذكر منهم (أبو سلام ممطور النوبي) الذي روى عدة أحاديث عن الرسول ﷺ نقلها عن أصحابه ﷺ.

وقد وصلت الجيوش الإسلامية إلى بلاد النوبة في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، وعقدت معاهدة مع ملكها عرفت باسم معاهدة(البقط) [٢] وهي أطول معاهدة استمرت بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة لذا استمر العمل بها قرابة ستمائة سنة بعد عهد عثمان، وقد انتشر الإسلام بين أهل النوبة على مر العصور حتى أصبحت جزء من مصر الإسلامية وقد هاجرت عدة قبائل عربية إلى تلك المناطق واختلطت بالسكان الأصليين، ونتج عن ذلك الاتصال والاختلاط تبادل ثقافي شعبي أنتج جيلاً جديدًا يدين بالإسلام ويتحدث اللغة العربية ويكتب بها، مع الاحتفاظ بلغته الأصلية، وكانت معبر الإسلام إلى السودان ومن ثم اريتريا والحبشة، والكتابات عن النوبة ليست كثيرة في التاريخ الإسلامي وربما يعود ذلك إلى أنها لم تكن مركزًا سياسيًا لأحد

---

(٢) انظر: خليفة بن خياط، **تاريخه**، ص١٦٨. البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٢٣٨.

الدول القوية عبر التاريخ كحال بعض البلاد الأخرى، ومع ذلك قد كان الكثير من أهلها ينتقلون إلى المدن المصرية لطلب العلم وكسب العيش، وكان لرجالها دور كبير في الحياة الاجتماعية والعسكرية للمجتمع المسلم في مصر على مرِّ العصور بل أن بعض من يعودون لأصول نوبية حكموا مصر كاملة كما حدث في عصر الدولة الإخشيدية وغيرها.

الكوريتان بين أمريكا والصين*

تتحدث وسائل الإعلام العالمية هذه الأيام باهتمام شديد عن المشكلة القائمة في كوريا الشمالية والتي ترفض وبشدة حتى هذه اللحظة الرضوخ للطلب الغربي عمومًا والأمريكي خصوصًا بإجراء تفتيش دقيق على منشآتها النووية، حيث أن الولايات المتحدة تشعر بقلق شديد من جراء إمكانية وجود السلاح النووي وتقنيته عند هذه الدولة، لأن ذلك كما يقول المحللون سوف يؤثر على حلفاء أمريكا ليس في شرق آسيا فحسب بل وفي مناطق أخرى من العالم لها أهميتها القصوى عند الولايات المتحدة الأمريكية كمنطقة الشرق الأوسط مثلاً والتي ذكر أن بعض دولها حاولت الحصول على هذه التقنية من كوريا الشمالية ولذلك فان هذا الأمر يحظى باهتمام خاص ودقيق لدى الإدارة الأمريكية.

* نُشر هذا المقال في إحدى الصحف السعودية.

ومع الخطوات المختلفة التي اتخذتها الإدارة الأمريكية حول هذه القضية فإن هناك مجموعة من العقبات الرئيسة أمامها، من أهمها الرأي العام الأمريكي نفسه، والذي يشكل هاجسًا كبيرًا ورئيسًا لدي الإدارة الأمريكية التي تحاول عدم توريط نفسها في حرب في تلك المناطق نظرًا لوجود قواعد أمريكية، بها ما يزيد على ثلاثين ألف جندي أمريكي يشكلون مع أقاربهم ضغطًا خفيًا لمنع تورط الأمريكيين في المنطقة خصوصًا أنه سبق لهم تورط قديم في الحرب الكورية، وبالتالي فإن الرئاسة والحزب الجمهوري يحسبون لهذا الأمر حسابه ويخشون من أي فشل هناك وانعكاسات ذلك على الشارع والناخب الأمريكي مستقبلاً.

كما أن كوريا الشمالية جار مهم لجمهورية الصين الشعبية (بكين)، وهي المنافس الأقوى للولايات المتحدة الأمريكية بعد الانقسام السوفيتي وليس من السهل أن تسكت بكين على أي تحرك أمريكي في المنطقة، ومهما تظاهر الصينيون ببرود الأعصاب وضبط النفس فإنهم مستعدون للتصدي للولايات المتحدة في هيئة الأمم وفي مجلس الأمن خصوصًا، إذ أن الصين أحد أهم الدول الكبرى المالكة لحق الفيتو في المجلس وبالتالي فإنه يمكنها التصدي لأي قرار تتبناه الولايات المتحدة وإفشاله عن طريق الفيتو ومن ثم فلن يكون لأي إجراء تتخذه الولايات المتحدة

في الهيئة الدولية صبغة قانونية أو دولية أو بإسم هيئة الأمم كما كانت تفعل ذلك سابقًا، ولذلك فإن الولايات المتحدة تحاول مداراة الغضب الصيني أو التحكم به عن طريق الضغوط الاقتصادية، أو عن طريق تحريك قضايا حقوق الإنسان في الصين على المستوى الإعلامي العالمي، ومن المتوقع أن لا تأتي الأخيرة بنتيجة بينة.

ولا شك أن الأحداث الدائرة لها تأثيراتها الاقتصادية على مستوى العالم فدول شرق آسيا أخذت في التقدم اقتصاديًا بتحريك من اليابان وشركاتها الكبرى التي اتخذت لها مراكز صناعية هامة في العديد من دول المنطقة وعلى رأسها كوريا الجنوبية، وبالتالي فإن الخبرة اليابانية ورؤوس الأموال اليابانية معرضة للخطر في حال نشوب أي حرب في تلك المنطقة، بل أن الصناعات اليابانية نفسها وشركاتها الكبرى تعتمد في كثير من جزئياتها على إنتاج فروعها للصناعات الغربية في أسواق الغرب وخصوصًا الأسواق الأمريكية، ولذلك فإن أي مشكلة تقع في المنطقة قد ينظر إليها الغربيين بأنها ستخدم المنتج الغربي على حساب منتجات الشرق اليابانية أو الكورية أو غيرها وبالتالي فإن بعض الشركات الغربية قد تدعم تصعيد المشكلة من منطلق النظرة الاقتصادية.

ومن خلال ما سبق يتضح أن أطراف النزاع في القضية الكورية ليس الدولتين الكوريتين وأمريكا وحدها، بل أن اليابان والصين طرفان رئيسيان في القضية وإن تباينت ردود أفعالها ولذلك فإن الولايات المتحدة لن تقدم على أي عمل في المنطقة دون أن تحسب حسابًا لجيران كوريا وخصوصًا الصين التي يحسب لها في الهيئات الدولية بل وفي الناحية العسكرية، وإن كانت مستهدفة من الناحية الاقتصادية.